احداث هذه الرواية حقيقية

صدرت الطبعة الاولى عام ٢٠٠٩م

ترجمت الى الانكليزية وطبعت عام ٢٠١٤م

صدرت الطبعة العربية الثانية عام ٢٠١٥م

عدي عدنان البلداوي

رقدالين

رواية

طبعة ثانية

مؤسسة البلداوي للطباعة ٢٠١٥م

الشمس أخذت تلملم أذيالها والسماء بدأت تعرض مشـــهدها الشتوي، بعض قــطرات المطر راحــت تتراقــص على الطريق الإسفلتي، وبعضها الآخر اخذ ينساب على جدران المباني غاسلة ثيابها الصيفية، مانحة إياها رائحة الشتاء.

كان هذا عام ١٩٩٨ ، في ليبيا، شهر شبــاط، يوم الاثنين، الساعة الواحدة ظهرا تقريبا حيث حصل اللقاء بــين اديب وفرات.

خرج اديب من المعهد بــعد أن أنهى عمله متوجها لشــراء الخبز من المخبز الواقع يسار المعهد على الشارع الرئيسي لمدينة رقدالين، وبينما هو في الطريق لمح في آخره شخصا بدا له انه عراقي، تساءل مع نفسه:

– لا اظنني اعرف هذا الشخص، لم اره من قبل، ربما يكون مدرســا جديدا هنا او انه يقــصد زيارة صديق له، كانت الاجابة تختصر طريقها اليه حين استوقفه فرات.

– سلام عليكم

– وعليكم السلام

– حضرتك عراقي ؟

– نعم اخي تفضل.

– هل يمكنك مساعدتي في الوصول الى بيت اســتاذ علاء الذي يعمل في المعهد العالي لاعداد المدربين.

– بكل سرور، سأرافقــك الى هناك لانه لا يمكنك الوصول وحدك بسبب تداخلات الطرق الرملية المؤدية الى البيت.

– ارجو ان لا اسبب لك حرجا.
– على العكس يا أخي، (بس اسمح لي اشتري خبز ونمشي).
يبدو انك جديد على المنطقة، لم ارك هنا من قبل.
– هذه اول مرة ازور فيها رقدالين.
– واين تعمل حضرتك..؟
– لقد وصلت منذ ايام فقط، كنت اعمل في الاردن وبسبب مدة الاقامة بـ(٦) اشهر فقط اضطررت للسفر، وانت تعرف ظروف العراق وكلفة السفر ومتاعب التجنيد والجوازات وما الى ذلك، لهذا لم استطع العودة، وفكرت بالسفر الى سوريا لقربها من الاردن لكن المشكلة انها تحتاج الى موافقة، واتضح لي ان هذه الموافقة تحتاج الى وقت ولم اكن امتلك المزيد منه لانني لم اكن اعلم بذلك، وفكرت بالسفر الى اليمن، لكن كلفة تذكرة السفر منعتني، واخيرا فكرت بالمجيئ الى ليبيا.
– هذا يعني ان وجودك مؤقت؟
– في الحقيقة هكذا هي النيّة ولا ادري ماذا سيحصل، ربما افكر بالاستقرار هنا ان وجدت لي عملا...
لا اخفيك انني قد تعبت من معاملة الاردنيين السيئة خصوصا اجراءات الدولة المشددة مع العراقيين وحسب ما نسمع ان ذلك كان بطلب من الحكومة العراقية.
– احتمال كبير، وماذا كنت تعمل في الاردن؟

– عملت في مجالات عديدة، فترة في معمل طابوق، وفترة في شركة مقاولات.
– ربما تكون افضل حـــالا من كثيرين عملوا في المطاعم والمزارع وغيرها ونحن هنا نسمع كثيرا عن سوء معاملة الاردنيين ! للعراقيين(بس العتب مو عليهم !!! العتب على الزمن وان شاء الله كلشي يتصلح).
هل الاستاذ علاء صديقك ام قريبك؟
– انا ابن عمه.
– اهلا وسهلا، اعرفك بنفســي: انا اديب، اعمل في المعهد الذي مررنا بقربــه قبــل قــليل ان كنت انتبــــهت اليه.
– صار لك هواية هنا..؟
– منذ السنة الماضية.
– هم اكو مجال احصل على عقد عمل هنا ؟
– من الممكن، فانا مثلا لم اتعاقد من خارج ليبيا بل حصلت على العقـــد من الداخل، لكن المشـــكلة هي وقـــــت التعاقد، فنحن الان في شهر شباط وقــد يصعب فيه مثل هذا الامر ويبقى الرزق على رب العباد.
ما هو اختصاصك ؟
– انا مهندس كيمياء.
– الله يوفقك وييسر لك الحصول على عقد عمل.
وصلنا بيت استاذ علاء، لنر ان كان موجودا.
يبدو انه ما زال في المعهد.

– متى ينتهي عملهم ؟
– الدوام في المعاهد العليا يختلف عنه في معاهدنا ، فربما لديه محاضرة هذا الوقت، والان لم يبق لك حجة ستزجع معي لنتغذى ونستريح ثم نعود الى استاذ علاء عصرا.
– لقد اتعبتك معي اليوم استاذ اديب.
– (عيب عليك يا رجل، وين صار حق الضيافة، وين صارت النخوة العراقية، ترة الدنيا بعدها بخير).
– ان شاء الله بوجود الطيبين.
و شلونها الحياة في ليبيا ؟
– على العموم هي حياة هادئة جميلة، الناس طيبون، يحترمون المدرس والاستاذ، وخصوصا العراقي.
بصورة عامة الليبيون لا يزالون خارج حدود التأثر بفوضى العالم اليوم، لا تزال لديهم النخوة العربية، وروح القبيلة ما زالت تسكنهم، ومع وجود بعض المنغصات فان الحياة تبدو هادئة، البيئة نظيفة،التعامل لا باس به، ويبقى شعور الغربة، قد يكون ثقيلا هنا مقارنة بأماكن اخرى.
– كيف ؟
– ربما ستكتشف ذلك بنفسك اذا بقيت.
والان تفضل، انا اسكن هنا في هذا المعهد الذي اعمل فيه، تلك غرفتي.

الله يساعدك استاذ محمد...

– هلو اديب، اشو اتأخرت ؟

– اقدم لك ضيفنا الاخ فرات قريب استاذ علاء.

– اهلا ابني، تفضل، اهلا وسهلا.

– هذا استاذ محمد مدرس رياضيات في ثانوية البنين ويسكن معي.

– اهلا وسهلا أستاذ.

– الغداء جاهز هيا تفضلوا.

بعد قيلولة الظهيرة، وعند العصر تقريبا توجهنا الى بيت استاذ علاء.

في بيت الأستاذ علاء وفي أجواء ذلك المساء، كان لحديث المعاناة حضور ما بين هموم الغربة وقسوة الحـياة وبـين الحنين إلى الوطن، الأهل والأصدقـاء، الذكريات الجميلة والحزينة، وبين الشعور بالضياع في زمان يفتقد الحـكمة.
يبدو أننا نستمد قدرة المواجهة وتحمل الظروف القاسية من فيض رصيد المعاناة الذي نملكه خلال كل هذه السـنوات الماضية أملا في رؤية الوجه المشرق للحياة.
بعد حديث فرات أضاف ناجح وهو مدرس عربي، يسكن مع علاء ويعمل في ثانوية البنات:
همومنا تبدو اكبـر حـجما من هموم الأجيال السابقـة فانا شخصيا أرى أننا ندخل مرحلة تفوق أعمارنا بعد ان وجدنا أنفسنا أمام زخم من المسؤوليات والطموحات التي كثيرا ما تصطدم بواقع الحـياة المأسـاوية القاسـية لمجتمع يعيش الحصار في الليل والنهار.
لم نكن نستطيع تحقيق تكافؤ بين ما نصبـوا إليه وبـين ما نحققـه فكانت تجمعنا نفس المعاناة تقريبـا مع بـعض المتفاوتات حسب الظروف المحيطة وقدرة معايشتها، فمثلا في كربلاء كنا نواجه ظروفا صعبة ما بين الانقطاع شبـه المستمر للكهرباء وشحة الماء وقلة العمل وحالة الناس التي تتردى يوما بعد يوم، ولا شـك في أن الامر يختلف نوعا ما في اماكن اخرى والاسباب معروفة!
– ابراهيم: مدرس كيمياء، من ضمن سـكان البـيت: يا

جماعة كلنا عانينا خصوصا نحـــــــــن المتخرجين في التسعينات، بالنسبــة لي كانت اول صدمة حقيقـيـة، بــعد التخرج، او خلال سنة التخرج عام ١٩٩٤، فانتم تعلمون ان الوظيفة ما عادت تجدي نفعا، والدي موظف منذ ثلاثين عاما، ويتقاضى مرتبا شهريا مقـداره ٤٠٠٠ دينارا، كان ينفق منها ١٥٠٠ دينارا لاجور النقــــل والباقــــي تكفي مصروف يوم او يومين، بالتاكيد اننا جميعا مررنا بمثل هذا الشعور او في الاقل اغلبنا وهو ماذا نعمل وبعد ١٦ ســنة دراسية، وبعد حــصولك على الشــهادة ماذا ســتعمل كي تعيش، لا مجال للمثاليات، لا مجال لمقاومة الجوع، علقت شهادة تخرجي في البيت وبدأت ابحث عن عمل حتى انتهى بي الامر الى (جمبر) في الشورجة لبــيع الســكائر وهناك التقيت كثيرا من الشباب من مهندسين ومدرسين ومحامين، و...و....

وبعد يوم وآخر اصبح الامر طبــيعيا، او ارغمتنا الظروف على اعتباره طبــيعيا، توقــف معي كل شــيء، الطموح، الامل، كانت الايام عبارة عن عداد يحسب علينا المدة التي نعيشها، حتى حصل ذات يوم ان سمعنا بان الحكومة الليبية توفر عقود عمل في سفارتها في بغداد.

– اديب: اذكر تلك الايام، كان مئات العراقــيين هناك يوميا صباحا ومساءا، كلنا يتأمل الحصول على عقد عمل في ليبيا كان هذا الكلام حوالي الشهر السابع عام ١٩٩٧.

– سلمان : (مدرس لغة انجليزية في ثانوية النصر للبنات): هناك لجنة عقود قبل هذه.

– اديب: نعم جاءت اللجنة عام ١٩٩٤ فلم نكن حينها مهيئين للسفر اما نتيجة الارتباط بالعسكرية او انتظار امر التسريح الذي يحتاج الى مدة قد تعادل مدة الخدمة، هذه المدة يقضيها المتسرح بين السيطرات والتجنيد، السيطرة تطالبه بكتاب التسريح، والتجنيد (خلكه طويل) ولا احد يبالي لمعاناة الآخرين.

– علاء: حصل هذا الامر مع اخي حبيب الذي تسرح من العسكرية سنة ١٩٩٣ وكان المسكين يخشى السفر من محافظة الى اخرى خشية ان تمسكه السيطرة التي اما ان تعرضه للمهانة، او يأخذونه للسجن، وبقي على هذا الحال حتى تعرف سنة ١٩٩٥ على شخص يعرف ضابط التجنيد في المديرية وعندما ذهب معه الى هناك اتضح ان امر تسريحه صادر منذ سنة ١٩٩٤ وكان الجندي في التجنيد يتعمد عدم مساعدته وكان يستسهل عبارة تعال بعد اسبوع او اسبوعين.

– ابراهيم: وهكذا امضينا حوالي اسبوع امام السفارة الليبية نأتي صباحا ومساء وبعد ان تبين لنا ان شيئا ما قد حصل منع اللجنة من فتح باب التعاقد، فقدنا الامل لكن الموظف الليبي خرج الينا واخبرنا انهم يريدون التعاقد ولا تزال لديهم العديد من العقود لكنهم سيضطرون للرجوع الى

عمان ويمكننا السفر الى هناك للحصول على العقود.
منذ ذلك اليوم قررنا انا وصديقي (صادق) الذي كان يأتي ،يوميا من محافظة بابل الى بغداد حيث السفارة الليبية قررنا ان نبدأ بمعاملة السفر على امل ان ننجزها قبل نهاية الشهر الثامن لربما نلحق باللجنة في عمان ونحصل على عقد عمل، ثم افترقنا على ان نتصل ببعض عبر الهاتف ليعرف كل منّا ما وصلت اليه امور الآخر. كان التاريخ حيث بدأت معاملة السفر وتعثرت كثيرا في ، ١٩٩٧/٨/٣ مشوار الحصول على موافقة السفر من التجنيد طلبوا مني وثيقة التخرج على ان تتضمن ما يفيد انني لم احصل من الكلية على وثيقة لغرض التعيين او الدراسات العليا، وحين قصدت الكلية لهذا الغرض رفض موظف التسجيل ذلك لان الوزارة منعتهم من اعطاء مثل هذه الوثائق، حاولت كثيرا معه لكنه رفض، خرجت وانا افكر بالطريقة التي سأحصل بها على هذه الوثيقة وبعد اسبوعين اهتديت الى شخص يمكن ان يؤثر على الموظف وذهب معي اليه، وبعد المحاولات تمت العملية مقابل ٥٠٠٠ دينار، وفي التجنيد بقيت المعاملة لا ادري مصيرها، كلما سألت جندي الاستعلامات قال: بعد ما صار شي تعال باجر، وبينما انا مشغول البال بهذا الموضوع كنت في المقهى المقابل لتجنيد الكاظمية اشرب الشاي بدا لي ان شخصا ما كان يعلم بترددي المستمر على التجنيد ،فراح يسألني عن نوع

فاخبرته انها معاملة سفر، عرض عليّ انجازها مقابل (٥٠٠٠٠) الف دينار، انتابني شعور بعدم الارتياح لهذا الشخص فرفضت، واتضح فيما بعد انه ينسق بين التجنيد وبين المراجعين لاتمام اجراءاتهم مقابل استفادة الطرفين.

لما شكوت لصديقي (ابو محمد) عن كثرة المراجعات للتجنيد والتي لم تجد نفعا اخبرني ان ابن خالته عقيد مهندس وانه سيتصل به ليطلب منه مساعدتي في انجاز المعاملة وواعدني ان يتصل بي ليلة ذلك اليوم وفعلاً اتصل بي ليلاً ليخبرني انه اتصل بقريبه واخذ منه موعدا يأتي به الى التجنيد ليقابل المدير ويطلب منه انجاز معاملتي وفعلاً حدث ذلك صبيحة اليوم التالي الساعة العاشرة صباحا، وفي مكتب المدير اتضح لي ان معاملتي يجب ان تأخذ طريقها الى آمرية اللجان الطبية بعد تحويلها الى مديرية التجنيد العامة وان هذا الامر لا بد ان يتم عن طريق البريد (السري والشخصي) كما وصفه الضابط، وهكذا تخاطب كل جهة الاخرى لحين وصول كتاب يؤيد صحة صدور قرار الاعفاء من الخدمة العسكرية الذي صدر من آمرية اللجان الطبية، كان وجود العقيد المهندس قد سهل لي اشياء كثيرة فقد صرت اتمكن من الدخول الى التجنيد لمعرفة التطورات، وهذا طبعا مع استمرار اعطاء الجنود في البوابة والمسؤول عن معاملتي كل مرة ما بين (٥٠٠)الى الف دينار، في الشهر التاسع اتصل بي صادق ليخبرني انه

اتم معاملة سفره، وبعد ان علم بما انا عليه، وحيث اننا قد اتفقنا على السفر سوية، فقد رأيت ان اطلب منه ان يسافر عسى ولعل يحصل على عقد عمل في الاردن، وتم الاتفاق بيننا على اللقاء في الاردن، وهكذا ودعت صديقي عصر احد الايام في الصالحية وكان هناك الكثير من المسافرين واهلهم حاضرين وعندما ازفت ساعة السفر بدأ الأخوة والاخوات بالبكاء حتى كاد قلبي يفر من مكانه، كانت لحظات مؤلمة ومثقلة بالعديد من الهموم.

ومرّت الأيام واصبحت في اواخر الشهر العاشر وانا ما ازال انتظر موافقة السفر، عندما دخلت على الضابط اخر مرة حيث يوقع لي الموافقة احسست فعلاً ان الأشهر الثلاثة التي مرت وارهقتني جدا لم تكن شيئا حين قال لي الضابط وانا استعجله(علويش مستعجل كلها ايام واتسافر اويلي علينا احنا اللي ما نكدر نطلع).

انقطعت اخبار صادق عني فلم اعد اعرف عنه شيئا حتى اخبرتني والدتي ان احد اخوة صادق قد اتصل بي وقالوا انهم سيعاودون الاتصال ليلاً، وفي الثانية عشرة ليلاً رنّ جرس الهاتف ليخبرني احد اخوة صادق انه بعث لهم برسالة يخبرهم فيها بحالته السيئة وحالة الاحباط التي تنتابه لعدم توافر عمل وانه لم يحصل على عقد من اللجنة الليبية في عمان واخبرهم انه ربما سيعود اذا استمر وضعه على ما هو عليه، كان اهله قلقين جدا عليه وكانوا قد حرصوا

على عدم اطلاع ابويهم على فحوى الرسـالة لما تضمنتها من كلمات قاسية مبكية قد لا يتحملها قلب الوالدين وربـما كانت ستسبب المتاعب لهما، وطلبوا مني ان التقـي صادق في الاردن، وواعدتهم ان ابـذل ما بوسـعي، اخذت منهم العنوان الذي بـعثه لهم بالرسـالة، في يوم ١٩٩٧/١١/٤ حجزت تذكرة السفر عبر شركة الظلال في منطقـة العلاوي وفي يوم الجمعة ١٩٩٧/١١/٦ السـاعة السادسة مساء كان موعد انطلاق الباص بـاتجاه الاردن، كانت اجواء بغداد مضطربة مشحونة بـالأزمات، القـيادة تصر على تجويع الناس لكي يسمع العالم في الخارج عن بطولات القائد العربي الملهم الذي سيحقق للعرب احلامهم بازالة دولة اسـرائيل، ولو على حسـاب موت الابـرياء وجوعهم في عراق الاحـزان والموت البـطيء، الناس يتسارعون الى محطات الوقود لان ضربـة امريكية كانت على وشـك، الاهالي يدخرون الماء والنفط والقـوت، كان والدي وبعض الاصدقاء يرافقـونني الى الموقـف وقـد استفدت من تجربة سفر صادق فلم اوافق على استصحـاب والدتي معي واكتفيت بـوداعها في البـيت بـعد ان ملأت دموعنا العيون وفاضت على الوجنات، قبـلت يدي امي وغادرت البيت يتملكني احساس بأنني قـد اغيب عن اهلي كثيرا وفي اللحظات الاخيرة عندما طلب الى المسـافرين التهيؤ لصعود الحافلة، كان ابي معي حتى بـاب السـيارة

وقبل ان اهم بالصعود حضنتني وترقرقت في عينيه بعض الدموع، دنوت الى يديه اقبلها وابتسمت له متفائلا بالغد، وما ان بدأت عيني تبصر حركة السيارة عبر شوارع بغداد تملكني احساس امتزجت فيه الفرحة واللوعة، كانت بالنسبة لي فرحة كبرى ان اغادر تلك الظروف الصعبة واهرب من ذلك الافق الضيق المغلق، وكانت لوعتي نابعة من الاتجاه صوب الاغتراب الذي قد يشد الناس بعيدا عن بلادهم. دخلنا الرويشد في الاردن وهناك كانت بداية طريق الغربة، من عمليات التفتيش في الحدود الى التساؤل عن سبب السفر وكم من الوقت ستبقى في الاردن وكأنهم كانوا مكرهين على استقبال العراقيين على الرغم من الخير الذي عاشته الاردن بسبب ظروف العراق السيئة، بعد ان وصلنا الى عمان بحثت عن صادق حسب العنوان الذي معي، قصدت الساحة الهاشمية وهناك سألت حتى وصلت البيت الذي يسكنه وفي البيت لم اجد صادق، اخبرني احد العراقيين الذي كان يسكن معه في نفس الغرفة بانه سافر الى محافظة السلط بعد ان حصل على عمل في احدى مزارع الزيتون، اعطاني عنوانه الجديد الذي لم يكن اكثر من اسم المزرعة ورقم الهاتف، وخلال الايام الثلاثة التي بقيتها في الاردن حاولت الاتصال به دون جدوى ولما فقدت وسيلة الالتقاء به اتصلت باهلي واخبرت والدي بما حصل لينقل ذلك الى اهل صادق، ثم حجزت تذكرتي وانطلق بنا الباص الساعة

العاشرة ليلا من عمان باتجاه ميناء العقبة.
– **علاء:** هذه اول تجربة نمر بها نحن العراقيين، سابقا كان الناس يسافرون للسياحة، واليوم نبحث عن لقمة العيش هنا وهناك.
من كان يدري ان العراقي سيحتاج الى العمل في الاردن او الوصول الى ليبيا التي تبعد آلاف الاميال.
– **سلمان:** احد الليبين قال لي ذات يوم:–
جاء الى ليبيا اناس من مختلف الجنسيات، ولم نكن نتوقع ان نراكم هنا، كنا نتمنى رؤية العراقيين على كثرة ما كنا نسمع عنهم.
– **علاء:** الحق يقـال انهم هنا تعاونوا معنا كثيرا، فانا مثلا وقعت عقدي مع المعهد استنادا الى وثيقـة تؤيد حـصولي على الماجستير بعد ان تعهدت باحـضار رسـالتي التي لم استطع اخراجها ذلك الوقـت وكان ذلك عام ١٩٩٤ لان الجامعة كانت ترفض تزويد حملة الشـهادات برسـائلهم، وان شاء الله سأحاول من خلال بـعض الاصدقـاء الذين اعرفهم ان نحصل على عقـد عمل لفرات ولو ان الوقـت متأخر.
– **اديب:** حـتى لو لم يحـصل ذلك فيمكنه ان يعمل في اي شاركية للحاسبات واللغات فهو يجيد ذلك.
– **علاء:** يا اخي انت تعرف تعامل الليبـيين خصوصا بالفلوس.

رقدالين منطقة ريفية صغيرة تبعد عن مدينة زوارة (٧) كم تقريبا وعن طرابلس العاصمة حوالي (١٠٠) كم، اكثر طرقاتها رملية عدا بعض الرئيسية المعبدة، تعرف اماكنها باسماء القبائل فهناك بيت العباسي وبيت الموسي وبيت حرب وبيت الاسود وغيرهم وفي كل تجمع تتجاور وتتقارب بيوت القبيلة الواحدة ولا يوجد بينهم غرباء، لذا يصعب على العزّاب مثلنا ان يجدوا بيتا للايجار لانهم يفضلون تاجير بيوتهم للعوائل، والبيوت عادة من دَوْر واحد واحيانا من دورين، عمارتها بسيطة وجميلة في بعض البيوت، وعادية جدا في اغلبها، اما في وسط المدينة حيث تتوفر الخدمات الضرورية مثل المستوصف ومدارس الاولاد والبنات وهناك معهد عالي لاعداد المدربين ، ومعهد صناعي للبنين وآخر للبنات وقد تعرفت على عراقيين يعملون هناك، قرب موقف السيارات الخاص بالمدينة هناك جامع كبير، ويوجد مكتب بريد بدا لي متواضعا اذ ليس فيه صناديق بريدية والرسائل يعرضونها على الطاولة عدا المسجلة منها او البرقيات اذ يكتبون اسم المرسل اليه على ورقة يعلقونها على نافذة شباك البريد، ولا تسلم الرسالة المسجلة او البرقية الا لصاحبها اما الرسائل العادية الاخرى فيمكن لأي شخص البحث فيها وعادة لا احد يتدخل او يتطفل على رسائل الآخرين، عدا بعض

البعثيين المعارين من قبل الحكومة اذ كان واجبهم يملي عليهم معرفة علاقات كل شخص، مَنْ يراسله.. و لمن يكتب..، وغيرها من هذه الحركات. و توجد خدمات الهاتف في البريد وهي الافضل غير ان الموظف لا يوسع باله مع المكالمات البعيدة مثل العراق، يحاول مرة او مرتين او ثلاثة ثم يخبرنا بصعوبة الحصول على الخط مما يضطرنا الى الاتصال من الشاركيات الخاصة وهي مكاتب خاصة للاتصالات الهاتفية والكلفة فيها اكثر من كلفة الاتصال بالبريد.

توجد في رقدالين وباتجاه السير نحو زوارة محطة للوقود وفي الاتجاه المعاكس أي نحو زلطن وهو الطريق المؤدي الى تونس، يوجد مصنع للاحذية ومحطة لتحلية مياه الشرب والناس هناك يأخذون (البدونات) حاويات بلاستيكية لتعبئتها او يسجلون على سيارة ماء ويدفعون اجور النقل ويأخذونها الى بيوتهم حيث يوجد (ماجن) خزان في كل بيت وهو عبارة عن خزان يبنى تحت الارض وتغطى جدرانه بالاسمنت ويعمل له باب حديدي صغير يفتح ويغلق عند الاستعمال، البعض من الاهالي يصلون سطح المنزل بالماجن بانبوب بلاستيكي يسمح بمرور ماء المطر الى الماجن اوقات الشتاء بعد ان ينظفوا سطح المنزل قبيل الشتاء، اما الاسالة فانها تضخ ماءا مالحا في شبكات الى البيوت وتوجد في مناطق

ليس فيها اسالة، البعض يحفر ابارا في مناطقهم او حتى في البيوت وبواسطة (المصّاص) المضخة، يتم سحب ماء البئر الحلو وتغذية الانابيب في البيت ، الحياة بسيطة و غير معقدة ابتداء من مظهر المدينة وشكل المنازل حتى الدخول اليها ، البيوت نظيفة دائما ، المرأة الليبية تهتم بنظافة بيتها ، واغلب النساء او الفتيات يخرجن صباحا لكنس مقدمة البيت ويستعملون عنق التمر اليابس في الكنس لان الارض رملية ، وفي بداية مدخل كل بيت هناك (المربوعة) مكان لاستقبال الضيوف وهي غرفة مساحتها عادة اكبر قياسا لمساحة أي غرفة في البيت ، تفرش المربوعة بالسجاد ثم فراش سميك مرتفع عن الارض يملأ الغرفة كأثاث يجلس عليه الضيوف ، وقد ساعدت بيئتهم النظيفة على منح الجو جمالا وقبولا في الصيف والشتاء كما اخبرني علاء، الا قليلاً ما يستعملون المراوح في الصيف اما في الشتاء فانهم يعمدون الى (الكانون) وهو اناء حديدي يضعون فيه الفحم ويوقدونه وبعد ان يصبح جمراً يدخلونه الى الغرف. الزراعة هي المورد الاساسي تقريبا حسب ما علمت وهناك مساحات واسعة من الاراضي يسمونها (حوازات) والملفت للنظر انه لاتوجد حدود تفصل ارض عن اخرى ، كلها مشتركة ويراها الغريب متداخلة تبدو كأرض واحدة غير ان الاهالي يعرف كل واحد حدود ارضه بالاضافة الى كونها مسجلة في اوراق الملكية، يزرعون اللوز والزيتون

والشعير وغيرها حسب المواسم وتتعاون العائلة فيما بينها في الزراعة والحصاد، كما ان الرعي وتربية المواشي من الامور المهمة، وحـيث ان عملية الرعي تحـتاج الى راع يتقن عمله ويصرف وقته في رعي الغنم مثلا والخروج بها الى الصحراء والاعتناء بـها لذا فاغلب الذين يمتهنون هذه المهنة هم من تشاد او النيجر وبرواتب شهرية، بـالاضافة الى وجود سوق خاص لبـيع المواشـي اسبـوعيا كل يوم 'ربعاء صباحا في منطقة الجميل.

بالاضافة الى وجود المحـلات في المدينة فهناك السـوق الشعبي الارضي وهو سوق متنقل من مكان الى اخر، ينقل الباعة بضاعتهم في سياراتهم ويعرضونها داخل مسقـفات من القماش او احيانا على الارض مباشـرة او على طاولة، يلقى هذا السوق اقبـالا من الناس لتنوعه فهناك الملابـس المختلفة والاحـذية والكماليات الاخرى واللوازم المنزلية والكهربائية وسوق ملحق للخضار والفاكهة والحبوب، يقام هذا السـوق في رقـدالين يومي الاثنين والخميس عصرا ويومي الثلاثاء والجمعة صباحـاً، وبقـية الايام في زوارة حيث السوق اكبر والاقبال اكثر يومي السبـت والاربـعاء عصرا والاحد والخميس صباحا، واخيرا في الجميل يومي الثلاثاء والجمعة عصرا، ويومي الاربـعاء والسبـت صباحا ويأتي سوق الجميل في المرتبة الثانية بـعد سـوق زوارة من حيث تنوع البضائع وكثرة الباعة والمشترين ،و

يوجد في كل منطقة سوق محـــلي حـــكومي مدعوم ، لكنه لايوفر كل الاحتياجات وهذا يعتمد على ادارة المشـــتريات والبضاعة المستوردة .
هذا فيما يخص المكان الذي اعيش فيه حاليا، اما العمل فقد بدأت في مكتب للحاسبات يعود لشخص يعرفه علاء يعمل معه في المعهد ولازلت لااعرف الكثير عن تعامل الليبيين، لم استطع الحصول على عقد عمل بسبب الوقـــت المتأخر لكن احدهم واعد علاء خيرا في مطلع العام القادم.
كانت هذه رسالتي الاولى الى والدتي فمنذ وصولي الى ليبيا لم اكتب لهم شـــيئا على الرغم من انني اتصلت بـــهم هاتفيا وطمأنتهم على احوالي وعلموا انني اسكن مع علاء وانني تعرفت على بعض الاخوة الطيبين.
اديب: ان شاء الله شيئاً فشيئاً تتحسن امورك اكثر ومن حسن حظك انك وجدت من يستقبلك، لربـــما لاتعطي لذلك اهمية في حين ان موضوع السكن ووجود شخص يقف الى جانبك اول الامر شيء في غاية الاهمية لأنني شخصيا عانيت من ذلك كثيرا، ..... فحين وصلت الى ليبيا لم اكن اعرف فيها احدا غير (ابو قيس) صديق والذي الذي اخبره بـــأنني في الطريق اليه، حاولت ان لا اثقل عليه اول الامر فسعيت هنا وهناك على امل الحصول على عقد عمل ولكن وصولي في اواخر شهر كانون الاول حـــيث اغلقـــت مكاتب العقـــود ابوابها، جعل الفرصة تنحسر امامي واذا بقـــيت على هذه

الحال سأفقد ما معي من مال وسيتأزم الموقــف كثيرا، لان السكن بمقابل والأكل بمقابل، والتحركات بمقابل، وفرص الحصول على عقد عمل تتضاءل، وما معي من مال ربما لا يكفي لشهر على هذه الحال، عندها ركبت السـيارة متوجها الى مدينة الزاوية، بـعد ان امضيت اسبـوعاً مع اثنين من المدرسين احـدهما عراقـي والاخر سـوري يعملون في طرابلس عرفني عليهم شخص يدعى رائد كنت قد حملت له رسالة من والدته وكان يسكن في مدرسة في (ابو سليم) في طرابلس اذ سكنت معه اسبـوعا تقريبـا، لما وصلت الى الزاوية سألت عن منطقة(ابو عيسى) حيث يعمل ابو قيس في معهد المعلمين هناك، ولما وصلت المعهد لم اجد ابـــا قيس ودلني احد الليبيـين على البـيت الذي يسـكنه وهناك استقبلني استاذ مظفر العراقي الذي يعمل في جامعة السابع من ابريل في الزاوية، رحب بي كثيرا، وبينما نحن نتبـادل الحديث دخل ابو قيس ، شعرت انني وجدت شيئا افتقـده ، نهضت مسرعا اليه لتحيته بادرني بالقول(هاي اشجابـك، اني بعثت برقية الى والدك اخبـرته ان لايدعك تأتي، تره عمل ماكو هنا).احسست باحباط شديد وهو يستقبلني بـهذه الكلمات.

– **فرات:** مع الاسف

– **اديب:** لكن الناس الطيبة هوايه، خلي اكمل بقيّة السالفة

– **فرات:** تفضل.

– **اديب**: كان ذلك الكلام امام استاذ مظفر، وما ان دخل ابو قيس لتغيير ملابسه حتى اخذني استاذ مظفر الى غرفته وقال لي (اسمع اديب، لاتكول هذا عمي و صديق ابويه، مالك كل علاقة بكلامه أي شيء تحتاج اني موجود وان شاء الله ستجد عملا تره كلنا مرينا بظروف صعبة) والآن اخبرني هل تحتاج الى المال ؟، وراح يلح علي كثيرا، حتى اخبرته ان معي ١٠٠ دولار لم اصرفها بعد.

– **فرات**: شوف المواقف، سبحان الله.

– **اديب**: وقبل موعد الغداء وصل استاذ حسن مدرس الفيزياء في معهد المعلمين مع ابي قيس، واتضح انه المستأجر الاول للبيت، رحب بي الرجل قائلا:

اعتبر البيت بيتك تصرف كما تشاء.

وفي عصر ذلك اليوم وقبل الغروب كنا نجلس في حديقة البيت قال ابو قيس ان من حق الضيف ثلاثة ايام واذا زاد عن ذلك فهؤلاء هم اصحاب البيت الرأي رأيهم.

علق حسن ومظفر واستاذ نبيل على ذلك قائلين: يمعود البيت بيده الى ان يشوف دربه.

احسست منذ ذلك الوقت ان وجودي غير مرغوب فيه ولكن ليس بيدي حيلة اذا سكنت في فندق فسأنفق ما معي وقد لااحصل على عمل وكان هذا الهاجس يؤرقني ليل نهار.

خلال الاسبوعين التي امضيتها مع الجماعة علمت انه

توجد بيوت للشباب في صبراته المدينة الاثرية القريبة من ابي عيسى حوالي (٢٠) كم، قــصدتها ذات يوم وعلمت ان اجرة الليلة الواحــدة (٥) دينار واذا اشــتركت كعضو فيها فستكون اجرة الليلة الواحدة (٣) دينار ، ولكي اشترك عليّ ان ادفع (١٠) دينار للحصول على بطاقــة العضوية التي تعطيني الحق في المبيت في بيوت الشباب اياً كانت في أي منطقة في ليبــيا وفعلاً حــصلت على العضوية وفي اليوم التالي وانا اهم بمغادرة بيت حسن متحــركا بــخطى خفيفة غير مسموعة كعادتي في المشي متوجها صوب المربوعة التي يجلسون فيها ،لم يشعروا الا بي واقفاً المح الصور التي كان حسن وابو قيس يتفرجان عليها، حاول حســن تدارك الموقف بالتحدث الى ابــي قــيس عن اســفه لتلك المرأة المصابة بسرطان الثدي، اخذت حقيبــتي وخرجت متوجها الى صبراته، سكنت في بيوت الشبــاب وبــعد ثلاثة ليال، فاجئني الموظف الجزائري الذي يعمل هناك ، انه يتحــتم عليّ مغادرة بــيوت الشبــــاب هذه الليلة ويمكنني العودة بعدها،/ اذ ان المسموح به هو ثلاثة ايام فقط واليوم الرابــع يكون خارج البيوت، وهكذا لم اجدي بدا من ترك البــيوت والعودة الى بيت حسن ... ورب ضارة نافعة.

عندما عدت الى بيت حسن، فاجئني الاستاذ نبيل انه التقى عراقـيا يعمل في كلية الاداب في زوارة وخلال الحـديث بينهما علم استاذ نبيل ان ذلك الرجل يسكن لوحده في (ابـو عيسى)، يقول استاذ نبيل انه تذكرني في ذلك الوقت وحكى قصتي لذلك الاسـتاذ الذي اعطاه العنوان ودعاني للسـكن معه، لم اصدق ما قال استاذ نبيل، كان شهر رمضان قد بـدأ منذ ايام. بقيت حتى العصر ثم قصدت بيت الاسـتاذ رافد، طرقـت البـاب واذا بشـاب عمره لايتجاوز الخامسـة والثلاثين.

- حضرتك استاذ رافد...؟
- نعم تفضل.
- انا اديب الذي حكى لك عني استاذ نبيل.
- اهلا وسهلا اخي تفضل.
- كان منزله عبارة عن غرفة ومطبخ وحمام.

دخلت الغرفة وجلست..

- مسّاك الله بالخير.
- الله بالخير.
- اين امتعتك..؟
- في بيت استاذ حسن.
- اليوم ان شاء الله سنجلبها لتسكن معي.
- هل اخبرك استاذ نبيل انني بدون عمل لحد الان؟
- اخبرني كل شـيء (ولايهمك اخوك رافد موجود، هل

لديك بطانية وفراش).
- كلا.
- سأطلب ذلك من صاحب البيت.
لم اكن اصدق ما يحدث معي وقــتها، لكنني كنت مدركا ان الله رؤوف رحيم.
- **فرات**: ونِعْمَ بالله.
- **اديب**: قال لي الاســتاذ رافد انه مدعو للافطار ذلك اليوم وانني سأرافقه وانه سيقدمني على انني ابن عمه، كانت تلك الليلة هي الاولى التي انام فيها نوما حقيقيا حتى الصبــاح، كان شعور الضياع المتعدد الجوانب شعورا رهيبــا ملأني فزعا ذلك الوقت فبالاضافة الى الغربــة كان هناك ضياع داخل الغربة، لا عمل، لاسكن، لا نقود، حتى بــعث الله لي استاذ رافد وقبل ان ننام، قال لي:- بالنسبة للاكل لاتشــيل هم، لان ابو البيت الحــاج امنِّــيَه يعطيني الســكر والرز والزيت، اما المخضر فلا يكلف شيئا، اما بالنسبــة للايجار فاعلم انك ضيفي مهما طالت المدة، وحــين تحــصل على عمل سأطلب منك ان تشترك في الايجار.
احسست ان ثقلاً كبيرا رفعته عن كاهلي كلمات رافد والقت به جانباً.
مرّت عليّ ايّام قاسية التقيت فيها اشكالا من البشر فقبــل ان التقي رافد، وبينما انا انتقل من مدينة الى اخرى بحــثا عن عمل، قصدت مدينة زوارة، اذ احتفظ بإسم شخص اعرف

ابن عمه في بغداد، ولما وصلت الى المعهد المتوسط في زوارة حيث يعمل، علمت انه سافر الى المانيا.
ارشدني الليبي الذي سألته، الى بيت حيدر صديقه، وقال انه سيخبرني بما احتاجه، قصدت بيت حيدر الذي يسكن مع عائلته وقبل ان اذهب اليه كنت قد مررت على امانة التعليم في زوارة، وقبلوا ان يستلموا ملفي رغم انتهاء وقت التعاقد ذلك لانهم كانوا قد تعاقدوا مع ٦٠ شخصا ولم يباشروا العمل مما جعلهم في حاجة لتعويض هذا النقص لذا فتحوا باب التعاقد، وكانت (نجاح) الموظفة الليبية التي تعمل في مكتب العقود هي التي استلمت مني ملفي وواعدتني خيرا .
رحب بي حيدر لما علم انني اقصد زهير، اذ يبدو ان علاقة صداقة قوية جمعتهما، لمّا سألت حيدر عن امكانية التعيين واخبرته بما حصل معي في الامانة، طمأنني وقال انهم بحاجة الى (٦٠) شخصا يحلّون محل المتعاقدين الذين لم يلتحقوا بالعمل وبقيت اماكنهم شاغرة وانها مسألة وقت وسيصدر امر التعيين، دفعني تشجيعه الى السؤال عن سكن قريب لأتمكن من خلاله مراجعة قرار التعيين، اخذني بسيارته الى مجموعة من العراقيين قال انهم اصدقاؤه، يسكنون في بيت قريب منه، وبعد ان عرفني عليهم طلب منهم ان يستقبلوني للسكن معهم، اعترض احدهم قائلا: لدينا حمام واحد ونحن عدد كبير كما ترى يا حيدر مما يجعلنا نتأخر صباحاً في الذهاب الى العمل.

فجأة وجدت حيدر يصرخ بهم:
– مع الاسف انتوا اصدقاء والله اذا لم اجد له سكناً فسأسكنه معي في البيت في الطابق الثاني رغم وجود عائلتي معي.
خرجنا وانا احاول ان أهدىء من روعه لانني اعتبرت نفسي سببا في هذا الخلاف لكنه قال: انهم لايستحقون طالما انني قصدتهم في امر يقدرون عليه، وسأجد لك سكنا لاتهتم لذلك.
شكرته وثمنت فيه ذلك الموقف واوضحت له انني اسكن مع صديق في الزاوية حاليا والى ان يحصل امر التعيين يسهلها الله.
استمر سكني مع رافد حوالي شهرين ونصف، عملت خلالها مدرسا لعدد من الاولاد وكنت اتابع تطورات قرار التعيين، انتهى شهر رمضان، وجاء العيد ومضت ايامه وانا لااسمع غير تعال بعد اسبوع، بعد اسبوعين، قريبا سيصدر قرار التعيين ومرت الايام وكنت امرُّ من احباط الى اخر واليأس بدأ يدب الى نفسي حتى انني قررت العودة الى العراق وبالتأكيد كان قرارا فاشلا لانني لااملك حتى اجرة العودة بالاضافة الى انني استلفت المبلغ الذي وصلت به الى ليبيا ووضع اهلي لايساعد على تحمل كل هذه الاخفاقات كان رافد يشجعني بين الحين والاخر كي لاتسيطر عليَّ مثل هذه الافكار، وذات يوم اخبرني جعفر ابن عم رافد وهو مدرس كيمياء في ثانوية ابي عيسى

للبنين، انه ســمع عن قــرارات تعيين صدرت في زوارة، ذهبت متلهفا تارة ومحبطا اخرى وما ان وصلت الى مكتب العقود حــتى وجدت (فؤاد الغالي) هناك ولما ســألته عن القرار تفاجأت بوجود اسمي في قــائمة التعيين، لم اتمالك نفسي وانا انزل سلم المبنى وكانت روحــي تسبقــني الى البريد كي ابعث برقية الى والدي اخبره بحصولي على عقد عمل مغترب، عدت الى الزاوية على ان اعود الــى زوارة في اليوم التالي حيث يتم تنسيبــي الى مكان العمل، فرح كل من رافد و ابن عمه جعفر فرحا كبيرا ولما كان رافد حديث عهد في ليبيا لذا لم يكن معه من المال ما يسـلفني اياه ودون سابق طلب اخبــرني جعفر انه سيســلفني (١٠٠) دولار لأنني سأحــتاج الى مصاريف لاجراءات التعيين ما بــين عقود العمل والشهادة الصحية ورسوم النقابة وما الى ذلك، وفي الليل زرت جعفر في بيته حيث يسكن وعائلته، وهناك اعطاني المبلغ وقال انه لن يطالبني به الا بــعد ان اســتلم رواتبي، وفي زوارة نسبوني على رقــدالين في هذا المعهد واعطوني هذه الغرفة.

- **فرات**: وماذا عن رافد.

- **اديب**: اصبحت امضي الخميس والجمعة عنده اسبوعيا، ولازلت لحد الان، حتى انه ما عاد يقبل ان يسكن معه احد، قائلاً: هذا مكانك وهذا الفراش سيبقى تنام عليه كلما جئت.

- **فرات**: ربما يستغرب الانســان لذلك ولكن الله يهدي من

يشاء.
- **اديب:** حتى انا استغربت بعدما صدمت بــصديق والذي وسألت رافد ذات يوم عن الدافع الذي جعله يقوم بما قام بــه معي، اجاب:-
لا اعرف غير انني حين رأيتك تملكني احساس او ربما هو شيء من رحمة الله تخبرني بوجوب الوقــوف معك فقــد ارتحت لك جدا من اول لقاء وبعدين يا اخي اني ما ســويت غير الواجب ، واحنا هنا في الغربــة لازم واحــد يســاعد الاخر.
- **فرات:** صاحبك هذا انسان رائع.

هكذا تمر بنا الايام، ليل يلملم اذياله منكمشـــا امام الشـــمس ونهار يمل مكوثه الطويل فيرحل لياتينا يوم اخر باحـــداث جديدة او ربــما متكررة. هكذا مرت الاعوام، كنا في مطلع كل عام نتفاءل مبتســـمين علّه يكون نافذة امل جديدة نطل منها الى المستقبل وفي نفس لحظات الابتسامة كانت هناك دمعة في عيون كل عراقي مغترب وهو يرى حال البـــلاد البائس، ربــما قــدر لنا ان نعيش معاناة الجســد المغترب والروح المتلهفة لعناق الحرية وفكاك البلاد من قيودها، لا زلت اذكر ايام رحــلتي الاولى من العراق منذ ســـنوات طويلة، اذ لا زلت عالقــا هناك روحــا وفكرا وفؤادا وانا اعيش عامي العشرين خارج البلاد.
كأن العراقي القادم من العراق قبل ايام او اسابيع يضم دفء الوطن في صدره، وعينه تعكس بــريق شـــمس العراق وجسمه يبعث رائحـــة تراب ارض الرافدين فيثير كل ذلك الذكريات كما حـــصل مع الدكتور فيصل الطبـــيب في مســتوصف رقــدالين عندما تعرف الى فرات الذي زاره بصحبة اديب واستاذ محمد في بيته.
- **د. فيصل:** كيف تركت الناس في العراق، فانت تعلم ان اهلنا هناك لا يستطيعون ان يكتبوا لنا كل شيء على حقيقته !!! .
- **فرات:** اتذكر مقولة يرددها دوما الحاج ابو حيدر صديق والدي عندما كنت اسأله عن احوال الدنيا فيقول:-

اليوم احسن من بـاجر ، هكذا هو حـال الناس هناك، لقـد تغيرت اشياء كثيرة واصبح هم الناس وشغلهم الشـاغل هو لقمة العيش وكيفية الحـصول عليها مهما كانت الوسـيلة، خلطوا السـكر بـالملح وبـاعوه، وخلطوا زيت الطعام بالبـطاطا المغلية واضافوا الماء الى زيت المحـركات بطريقة شيطانية رهيبة بحيث لا يمكنك ان تشك ابدا ان علبة الزيت قد فتحت سابقا، وملؤا علب السكائر بالورق المقوى ووضعوا تلك العلب مع غيرها دون ان تشـك في الامر الا بعد ان تفتح العلبة وهكذا ظهرت طبقة جديدة اطلق الناس عليها اسم تجار التسعينات، اولئك الذين اصبحـوا اثرياء بين يوم وليلة، ماذا اقول لك يا دكتور، الناس هناك تمشـي في الشـوارع وكأنها منزوعة الروح والوجدان وأخرين يقيمون حفلاتهم البـاذخة، لم يعد في العراق مكان للطبقـة المتوسطة فأمّا ان تركب الموجة ايا كانت والى اين تلقي بك لتصبح ثريا بغض النظر عن الطرق المؤدية الى ذلك، واما ان تكون من المعدمين، واكثر الذين حافظوا على انفسـهم بعيدا عن الطرق الملتوية والغش في العمل فقـد خسـروا الكثير من اموالهم، لان التيار الجارف يحـرق كل اخضر وبمبـاركة الملوثة ايديهم من العاملين في الدولة، من اجل سلب امكانيات العراق والعراقيين قدر الامكان.

كليا على ابنائها في الخارج سواء كانوا لاجئين او مهاجرين في دول العالم وعلى ذكر ذلك، ذكر لي احد الاصدقـــاء هذه الطرفة:-

في احد الجوامع وبعد الصلاة كان الشيخ يدعو: اللهم شافي مرضانا، اللهم اوفي ديوننا، اللهم احفظ غائبنا، اللهم ارجع كل غريب الى بلده. وهنا اعترضه احد الجالســين (مولانا الله يخليك استر علينا، اذا رجعوا احنا منين ناكل).

– **استاذ محمد**: أيــــــه، متى يستريح الانسان في حياته، عمر مضى كله تعب وشقاء، قديما كنا نفكر بالراحة بــعد التقاعد واذا بنا نفكر بالبداية من جديد، ها انا ذا اشارف على الستين وقد حملتني هموم العائلة للمجيء الى هنا بحــثا عن عمل بعد ان اخذت مكتبتي الكبيرة تنكمش يوما بعد يوم وانا احمل كتبها الى سوق السراي للبيع من اجل علاج لزوجتي او ثوب لابنتي او مصاريف لدراســة ولدي، لم يكن راتب التقاعد يعني شيئا لان خزينة الدولة لا تسمح بــالمزيد من النفقات لذلك لم يكن نصيب المتقاعد ســوى هذه النتف من الدنانير وقد واعدنا القائد الرمز انه سيعوضنا عندما نعبــر الى الجانب الاخر!!!، وهكذا وجدتني ابدأ من جديد، والحمد لله انني التقيت مجموعة جيدة من الشبــاب، خفف وجودهم الكثير مما يمكن ان يشغل رجلا كبيرا مثلي من السأم والقلق والمرض والتعب النفسي في الغربة.

– **د. فيصل**: هل جئت عن طريق البر ؟

– **فرات:** نعم.
– **د. فيصل:** وكيف كانت الرحلة.
– **فرات:** انطلقنا من ميناء (العقبة)، وقبـــل وصول العبّارة الى (النويبع) ابلغوا كل العراقــيين بــعدم مغادرة العبّارة، وعند الوصول جاء ضابــط مصري وطلب منا تســـليمه الجوازات ومرافقة الجنود وعدم التحرك بـــاي اتجاه اخر، نزلنا من العبّارة وهناك كانت باصات تنتظرنا ومن بـــاب الباص وحتى خروجنا من العبّارة كانت الشرطة المصرية تملأ المكان، وجندي ينادي على الاسماء ثم يسلم الجواز الى الضابط لكي يتحقق من هوية الشــخص ومن ثم يطلب منه التوجه الى السيارة مباشـــرة واخيرا ركب معنا شـــرطي يحتجز جوازاتنا عنده وهكذا بقي الشرطي يرافقـــنا حـــتى الحدود المصرية الليبية.
– **اديب:** حدث نفس الامر معنا حتى ان الشرطي وقـــتها لم يسمح لنا بمغادرة الباص حين وصلنا الى مقر الشـــركة في القـــاهرة اذ طلبـــنا منه ان يدلنا على مطعم لكي نتناول فيه فطورنا لكنه امتنع اول الامر وبعد ان اقـــنعه احـــدنا بـــان جوازاتنا عنده واننا ما جئنا لنبقى في مصر ولا نريد البقاء فيها ما دامت الحكومة تعاملنا هكذا ونحن نمر بـــاراضيها مجرد مرور، اخيرا وافق الشرطي وسمح لنا بـــعد ان دلنا على مطعم قريب.
– **فرات:** بالنسبة لنا وافق الشرطي ان نزور الاهرام وندور

في مصر بعض الوقت بينما يتم صيانة الباص في مقر الشركة، وقد استثمرنا الوقت وذهبنا الى زيارة (سيدي الحسين) وكنا سنذهب لزيارة مقام السيدة زينب لولا خشينا ان يدركنا الوقت.

– **اديب:** لما وصلنا الحدود الليبية المصرية، وزع الشرطي المصري جوازاتنا وختم مهمته بعبارة الاعتذار: اعذرونا يا اخوان انا رجل مأمور، ونتمنى لكم الوصول بالسلامة، وسامحونا على ما حصل.

– **استاذ محمد:** اول ما بدأ الناس بالمجيئ الى ليبيا، لم تكن مصر لتوافق على مرور العراقيين عبر اراضيها فكان الناس يضطرون للسفر الى السودان، ومن ثم الى ليبيا عبر الطريق البري الخطر، وقد سمعنا قصصا كثيرة عن المخاطر التي صادفت اخواننا العراقيين ما بين عطل السيارة وبين اللصوص ووحشة الطريق الغير مؤمن، وبتدخل من الحكومة الليبية سمحت مصر للعراقيين بالمرور فقط عبر اراضيها ويختمون على الجواز بالمغادرة خلال (٧٢) ساعة مع الاجراءات الامنية المشددة في الوقت الذي كان في العراق حوالي ٦ ملايين مصري يتمتعون بمزايا عالية، اغلبهم بلا عمل وفي اخر السنة يحولون الدولارات الى مصر، وكان المصري مفضلاً على ابن البلد في أي شيء يخص الدولة.

– **اديب:** بعض المصريين لا ينكرون ذلك فعلى سبيل

المثال كنا انا ورافد نتمشى في منطقة ابي عيسى عصرا وكنا نتكلم مع بعضنا بلهجتنا العراقية واذا بمصري على الجانب الاخر يبدو انه كان يسمعنا، اقبل علينا مسلما ثم سألنا: الاخوة عراقيين ؟
نعم تفضل...
– (والله اكدع ناس، والله يا استاذ انا لا اعرفكم ولا انتوا تعرفوني، لحم كتافي ده من خير العراق، والله احنا المصريين مقهورين على الحال اللي بتمروا فيها بس ان شاء الله ربك يعدلها، وارجوكم لو عوزتوا ايتها حاجة ما تترددوش، انا اشتغل هنا في محل النجارة هناك اللي على ناصية الشارع، وحياة العراق اذا احتجتوا حاجة تتفضلوا عندي، ده انا عشت حداشر سنة من عمري في العراق في بغداد، شفت ايام حلوة كتير وناس طيبة والعشرة ما تهونش الا على اولاد الحرام).
– **استاذ محمد:** اكيد ان الامر لا يخلو.
– **فرات:** السائق المصري الذي اوصلنا بالباص حتى الحدود الليبية نبهنا ونحن ننتظر جوازاتنا عند التوبيع قائلا: شوفوا يا عراقيين، شايفين الواد والبنت اللي بيمشوا هناك، دول اسرائليين بيسرحوا في البلاد زي ما هم عاوزين وانتم هنا ما يخلوكمش تنزلوا من الباص، عجب يا دنيا عجب.
– **د.فيصل:** اكثر المصريين شعب طيب والذي حصل معكم كان تعليمات من الحكومة.

- **فرات**: في كل الاحـــوال نحـــــن من يدفع الثمن، خوف وجوع، وغربة، هكذا يعيش جيلنا، لم نشعر بحـــلاوة الدنيا ابدا.
- **استاذ محمد**: الله يساعدكم، بس انتوا بعدكم شبـــاب وهذه التجارب تفيدكم بالمستقبل حتى ما تكرروا اخطاءنا احـــنا الكبار وتحسبوا احساب للزمن، احنا قبل عشـــنا حـــياتنا، ســـافرنا وشـــفنا دول وناس واليوم احـــنا وياكم على نفس الطريق ويمكن انتوا افضل منا بالقــــــدرة على المواجهة والتحمل، احنا مثلاً ما تغربنا قبل مثل هذه الغربة وما شفنا اللي كاعد تشوفوه اليوم.
- **د. فيصل**: انا اؤيد استاذ محمد فيما قال وبـــالتاكيد فعندما تتزوجون فان ابناءكم سيكونون افضل بحكم نقلكم تجاربكم لهم وبالتاكيد ستنجحون في تربية الابناء، علموهم على حب الوطن وعدم التفريط به وعدم الســـماح لاي شـــخص ان يسيئ الى البلد، ربما نحن الكبار لم نحقق شيئا لبـــلادنا فانا عن نفسي اقول اننا جيل فاشل، وارى فيكم املاً كبيرا فقـــد تستطيعون فعل شيء.
- **اديب**: ربما على المدى البعيد، اما الان فليس بمقدور احد ان يفعل شيئا، اليس كذلك ؟
- **د. فيصل**: عموما انتم لا تزالون قـــــادرين على العطاء

حتى ولو على المدى البـــعيد اما نحـــن فربـــما نشــاركم المشورة والنصيحـــة، هذا ما نقــدر عليه بـــعد هذا العمر الطويل.

– **فرات:** هل امضيت كل هذه السنوات هنا في ليبيا.

– **د.فيصل:** كنت في اليمن والاردن ولي هنا ثمان سنوات..

– **فرات:** الله يساعدك على هذه الغربة.

– **د. فيصل:**

مشيناها خطى كتبت علينا

ومن كتبت عليه خطى مشاها

– **فرات:** الحمد لله على كل حال.

– **استاذ محـــمد:** ماذا ستقول حين تتعرف على استاذ حمزة الذي يعيش وحده منذ ثلاثين عاما بعد ان تنقل في بلاد عديدة حتى استقر به الحال مرغما في المدرســة الثانوية للبــنات حيث يدرس اللغة العربية، وهناك عمله وسكنه.

– **فرات:** معقولة ! اليس له عائلة، ولماذا مرغما ؟

– **استاذ محمد:** استاذ حمزة قصته طويلة وســتعرفها فيما بعد.

– **اديب:** اخبرني الاستاذ طلعت المصري ان موافقة التعيين صدرت لذا ساذهب غدا الى زوارة بعد اكمال حصتي الثالثة فهل سترافقني.

– **استاذ محمد:** لا اعتقد ذلك لانني مشغول حتى الحــصة الخامسة.

في زوارة، وعند الشارع الرئيسي:
– اديب.... اديب
– اهلاً فرات، كيف حالك، اليوم في زوارة ؟
– جئت لشراء بعض قطع الغيار وانت ؟
– متوجه الى امانة التعليم للحصول على نسخة من موافقة التعيين، هل ترافقني؟
– لا باس فقد اكملت عملي، ماذ عنيت بموافقة التعيين الم تقل انك منذ العام الماضي وعندك اقامة ؟
– **اديب:** نعم ولكن ذلك يتجدد كل عام، وان شاء الله عندما تحصل على عقد عمل ستعرف كل هذه الدوامة الروتينية، فكل عام لا بد من موافقة عمل جديدة تصدر من القوى العاملة في مبنى امانة التعليم وهو غير قرار التعيين الذي يصدر من (سرت) ولمرة واحدة عند التعيين، وبدون قرار التعيين لن يكون من حقك ان تتقاضى مرتبك ولا حصولك على الاقامة وغيرها وبدون موافقة التعيين السنوية لن تحصل على الاقامة السنوية مما لا يسمح لك بتحويل مرتباتك في المصرف وهي على هذا الوضع الروتيني اهون من تلك المرحلة التي مررنا بها السنة الماضية.
– **فرات:** كنا نسمع عن تاخر الرواتب في ليبيا.
– **اديب:** تصور اننا العام الماضي بقينا لغاية الشهر السادس حتى صرفوا لنا المرتبات.
– **فرات:** ومنين كنتوا تصرفون.

– **اديب**: كنا نأخذ سلفا، هذا هو الروتين، اوراق في اوراق، عقود عمل وشهادة صحية وموافقات واختام واحيانا ننتظر مدة شهر مثلاً لاجل توقيع او ختم ولا يمكنك معرفة السبب وراء التأخير كما انه لا احد يقدر انك غريب وربـــما ليس معك ما تنفقه، وانت تعرف وضعنا العام فانا مثلاً اســتلفت مبلغ السفر على امل ان اعيد ما بذمتي بعد شهرين او ثلاثة واذا بالمدة تطول وينفذ ما معك من اساليب الاعتذار واذا لم يقبل المقابل عذرك فهو محق لأن ظروف الناس في العراق صعبة، والسوق غير مستقرة وما الى ذلك، حتى السلفة التي من حقنا الحـــصول عليها ما دمنا بـــلا رواتب، فانها تتأخر كثيرا حتى نحصل عليها.

– **فرات**: سمعت من الكثيرين في الاردن عن مثل ذلك.

– **اديب**: عموما هنا لايضيع حقك ما دمت تطالب به وتتابع حـــصولك عليه ولكن من المحـــتمل ان تفقـــد صبـــــرك واعصابك.

لقد استفدنا من وجود العراقيين قبلنا وخصوصا اصحـــاب الخير والشهامة فموقف جعفر مثلاً كان نابــعا عن مروره بـــنفس هذه المراحـــل ولولا المبـــلغ الذي اعطاني اياه لما تمكنت من اكمال اجراءات التعيين وكذا الحـــال مع اســـتاذ محمد فقد كان يستدين من صديقه الدكتور سامي.

– **فرات**: وماذا عن باقي الاعمال ؟

– **اديب**: كن حريصا على تصفية الامور شهريا والمطالبة

باتعابك.

– **فرات:** رمضان صاحـــــب المكتب يعمل مع علاء في المعهد وهو رجل طيب، وعلاء يعرفه جيدا.

– **اديب:** في اول لقاء بيننا وعندما سألتني عن الليبيين قلت لك بانهم اناس طيبون، وعليك ان لا تنسى ابدا ان للغربـــة ضريبة وضريبـــة الغربـــة صعبـــة، وعندما يتعلق الامر بالفلوس فان اشياء كثيرة تتغير وطبق المثل القائل (اذا تريد صاحبك دوم حاسبه كل يوم).

– **فرات:** كلامك صحيح حتى ان علاء اكد عليَّ ذلك.

– **اديب:** دعني ادعوك للغداء، يوجد مطعم لبـــناني على الشارع يقدم اكلات جميلة ولو ان استاذ محـــمد ســـينتظر.

في المطعم، حوالي الساعة الواحدة والنصف ظهرا.

– **فرات:** هل تعرف اســتاذ محــــمد من مدة طويلة ام انك تعرفت عليه هنا في ليبيا ؟

– **اديب:** معرفتي بالاســتاذ محـــمد بـــدأت العام الماضي وتحديدا في مثل هذه الاجواء فبينما انا استقل الســـيارة الى زوارة لإكمال الشـــهادة الصحـــية وكان قـــد مضى على وجودي في رقدالين اسبوعان تقريبا،

ركب الى جانبي ذلك الرجل الكبير السن بنظارته وشـــعره الابيض ووجه الذي يبـــدو عليه الارهاق والتعب ومشـــيته المترهلة، بدا لي من لهجته في السلام انه عراقي فاحببت ان احييه بالتحية العراقية بعد جلوسه فقلت له الله بالخير استاذ،

رد على التحية بعد ان نظر اليّ بابتسامة يخالطها شيء من التعجب والاســتفهام فقــد اكون متطفلاً او انه يعرفني وما اسعفته اللحظة للتذكر ووسط هذه الحيرة سألته.

– استاذ انت تداوم هنا ؟

– **استاذ محمد:** نعم في ثانوية البنين، والبارحة فقط علمت بقرار التعيين، وجئت اليوم للمباشرة.

– اديب: انت مع المجموعة التي صدر قرار تعيينها مؤخرا

– **استاذ محمد:** نعم

– **اديب:** انا ايضا ممن صدر قــرار تعيينهم ولكنني علمت بالقرار منذ اسبوعين وقــد عينوني في المعهد المتوســط .

– **استاذ محمد:** واين تسكن ؟

– في نفس المعهد فقد خصصوا لي غرفة بــعد ان اعلمتهم انني لا اعرف احــدا هنا فقــد كنت في مدينة الزاوية ولما اخبروني بان الاستاذ جاسم مدرس الرياضيات، والاســتاذ رائد مدرس اللغة الانكليزية، هما من العراق ويمكننــي ان احصل على سكن مع احــدهما او من خلالهما، وبــعد ان علمت بعدم وجود مكان لي للسكن معهم اخبرت الإدارة بان يتدبــــروا لي الامر لان الذهاب والاياب من والى الزاوية متعب ومكلف بالنسبة لي خصوصا وانا في بــداية التعيين وحسب ما علمت انه ما زال الوقت امامي طويلاً للحصول على الراتب واخيرا طلب المدير ان يهيئــوا لــي الغرفــة الموجودة في الكرفان الخشبــــــي لانها فارغة، وانا الان

اسكنها.
– **استاذ محمد:** انا الان امر في نفس المشكلة فقد عينوني البارحة وقد كنت اسكن مؤقتا مع مجموعة من الشباب العراقيين في زوارة وفي الحقيقة انهم شباب جيدون فقد تعاطفوا معي ومع كبر سني حتى انهم رفضوا ان يأخذوا مني ايجارا مقابل السكن وهذا ما يجعلني لا استطيع الاطالة عندهم اكثر مما ينبغي خصوصا بعد ان تعينت، وقد توسط لي احد الاساتذة في المعهد العالي عند احد اصدقائه وهو الأستاذ قاسم(ابو ملهم)، الذي يسكن في رقدالين في بيت كبير مع مجموعة من العراقيين وقد كنت عندهم قبل قليل وواعدني خيرا بعد ان يسأل الساكنين عن رأيهم.
– **اديب:** حضرتك من بغداد ؟
– **استاذ محمد:** نعم، بيت العائلة الكبير في المنصور، ولدينا مجلس هناك اسمه مجلس الثلاثاء ان كنت تسمع به.
– **اديب:** في الحقيقة لم اسمع به رغم انني كنت اتردد على مجالس الشعرباف والخاقاني والكاظمية ومنتدى ابي حنيفة.
– **استاذ محمد:** انا ايضا من المترددين على هذه المجالس ولكن لا اظن انني رأيتك من قبل.
– **اديب:** ولا انا ، على الرغم من ان زياراتي قليلة الى هذه المجالس، ومن خلالها تعرفت على وجوه ثقافية كثيرة.
ومن تلك المجالس الثقافية والاجواء الادبية تعمقت علاقتنا

منذ البداية بالاضافة الى ان اسلوبه في الحوار اسلوب جميل وبـــدا لي انه يعرف الكثير وله ثقـــافة غنية ارتاح لها ولاجوائها، وفي اخر اللقاء طلبــت منه ان يعرفني بـــاخر اخباره وان يزورني الى المعهد، وبعد اربـــعة ايام زارني الاستاذ محمد برفقة صديقه الدكتور ســـامي عصرا والذي كنت التقـــيه لاول مرة، وهو اســـتاذ في المعهد العالي في رقدالين.

اخبرني الاستاذ محمد انه لم يحصل على السكن الذي واعده به أستاذ قاسم، لان سكان البيت تثاقلوا من وجود رجل كبير السن معهم، لم يُبدوا له ذلك الكلام صراحة لكنه احس بذلك من خلال التبريرات الغير مقنعة.

سألني الدكتور سامي ما اذا كنت امانع من السماح للاســـتاذ محمد بالسكن معي،

تذكرت من خلال الموقف الذي يمر به الاســـتاذ محـــمد ما مررت به انا مسبقا وقـــد وجدتني في موقـــع المتمكن من اسداء خدمة، كنت اتمنى لو اسداها لي احدهم وانا في نفس موقفه هذا، لذا لم اجد مجالا للاعتراض بـــعد ان علمت ان الاستاذ محمد كان في ضيافة الدكتور سامي الذي يسكن مع عائلته في بيته في رقدالين.

طلبت منهم ان يمهلوني الى الغد لاخذ موافقة الادارة على ذلك لانني حينها لم اكن قـــد عرفت الوضعية بشـــكل جيد. وفعلا تأجل الموضوع الى اليوم التالي، وبينما انا في قاعة

الدرس واذا بالاستاذ محمد يخبـــرني انه ســـأل الادارة عن رأيهم وقالوا له ان الامر بـــيد الاســـتاذ اديب، ان وافق فلا بأس.

لما اخبرني بـــذلك مددت يدي الى مفتاح الغرفة وســـلمته نسخة منه بعد ان اخبرني انه قـــد ينقـــل اغراضه في يوم الجمعة، لأنني اذهب الى رافد في الزاوية يومي الخميـــس والجمعة وهكذا جمعتنا اجواء الثقافة والنقاشـــات الجميلة، وقد تعرفت عليه وقد تكون قد لمست ذلك .

– **فرات:** نعم، ولكنه يبدو لي شخصا قلقا جدا، اليس كذلك ام انني مخطىء.

– **اديب:** انت على حق، يبدو ان حياته تكونت بهذا الشكل، ولا تنسى ان الظروف التي نمر بها في العراق كفيلة بسلب كل مقومات الاطمئنان والراحة، كما ان استاذ محـــمد رجل كبير وترك عائلة لوحدها بلا كبـــير يتابـــعها غير زوجته، فاكبر اولاده لا يزال في الاعدادية ولا يعتمد عليه بل هو في حاجة الى من يتابعه، وفي غياب الاب قد يجد الاولاد مجالا للتصرفات الغلط والام لا يمكنها ان تحل محـــل الاب في اكثر الاحيان.

– **فرات:** السنة تمر بسرعة والاجازة قريبة تمكنه من السفر اليهم.

– **اديب:** وهذا ما ينتظره الاستاذ محمد.

– **فرات:** وانت هل تسافر في الاجازة؟

-**اديب**: بالنسبـــة لنا الامر مختلف, فمجيئك من عمان الى هنا وليس الى العراق هو الجواب الكافي لهذا السؤال.
- **فرات**: انت على حق.
- **اديب**: هذا كله الى جانب مســألة خدمة الاحــتياط، فاذا دخلت العراق فلن يسمحـــوا لك بــالخروج ما لم تكمل مدة الاحــتياط اذا كانت مواليدك من ضمن المواليد المطلوبـــة والاجازة التي نحصل عليها هي شهر واحد لا غير وربـــما مع تاخر الاجراءات تصبح اقل من شهر والاحتياط وحـــده يحتاج شهرين، يعني شغلتنا تعبــانة من الاســـاس، وكانت رسائل والدي تتضمن هذا النوع من التلميحات عن ســـوء الوضع وتردي الامور .بحـــيث انه كان وبـــــصورة غير مباشرة عبر الرسائل يحاول ابــعادي عن فكرة العودة ولا حتى الزيارة المؤقتة.
- **فرات**: كلامك هذا يذكرني بالحاج عبد الســتار جيراننا، كلما سألناه عن ابنه الموجود في السويد ومتى يرجع، يقول: (ما دام ابني بالخارج وماشي بطريقـــه فاني مرتاح لانه لن يستطيع احد ان يتعرض له بينما لو كان بقربي فقد افقده بين لحظة واخرى، ما بين جيش شعبي وبين شرطي بالسيطرة ما عجبه شكله فيسجنه لاي سبب كأن يدعي عليه بأنه يسب الحكومة، او يأخذونه من البيت باي تهمة كانت ربـــما لانه ذات يوم ذهب الى الجامع او سلم عليه شخص اخوه معدوم وما الى ذلك من الاسباب التي تبتكرها قيادة الدولة الحكيمة)

- **اديب**: زمن كله تعب وشقاء، ونصيبنا اكبر من الاخرين، فالكل في هذا العالم يشكو ، الاختلاف في درجة الشكوى ونوعها.. مع ذلك ما دام هناك اشخاص يموتون من أجل الإنسانية والحقيقة فعلينا ان نتفاءل وان نفتح نوافذ الروح صوب المستقبل وان كان مجهولاً وان ننظر صوب الرحمة الإلهية وننتظر حتى يأتينا بريق لامع يمتد الى الاعماق ممسكاً بخلجات النفس منطلقاً بها الى عالم سمح نظيف ينتهي فيه التلوث الذي يحيطنا من كل مكان...

في هذه الأثناء كان مسلسل ليالي الحلمية قد بدا.

- **اديب**: الله يا فرات، اسمع كم هي جميلة كلمات الأغنية في هذا المسلسل:-

ليه يا زمن ما سبتناش ابرياء

واخذنا ليه لطريق مامنوش رجوع ....

- **فرات**: عجباً لهذه الحياة، احياناً تبدو لي واحة جميلة عندما انظر اليها من خلال معطيات عديدة يفترض انها اساسية لفهم النمو الايجابي للحياة، ومرّة اراها اسطورة تحت ثقل الظروف القاسية المحيطة بنا، اذ يفترض ان يكون للمرء في بلاده ظل يخفف عنه حرارة الشمس اذا التهبت ويؤويه اذا سقط المطر، ويضمّه اذا ابرقت السماء او عصفت الريح، وعندما يختلف عنه المكان ويصبح بعيدا فكأن إحساسا بعراء واسع يحيط المرء من جميع الجوانب، تحاول ان تهرب منه ولكن الى اين ؟ ذلك الحضن الذي

يعيش رسمه في الخيال وصلت اليه اصابع التلوث وما عاد امناً ، السماء نفسها هنا وهناك ، الشمس نفسها والقمر ، لكن المكان يتغير، وبتغير المكان اشـياء كثيرة تتغير وان كانت كما هي.. الغربة تستنزف طاقات كبيرة ما بـين انشـغال الذهن المرتبط روحياً بتهدئة النفس التي تركت بعضها في العراق وبين روح المطاولة والقدرة على العمل بما يوازي ضريبـة الإغتراب، ربّما الحـياة وربـما الناس وربـما الظروف، لستُ ادري بالضبط، قد ادّت دوراً في تركنا على قارعة الطريق ننتظر من ينقلنا الى المحطة القادمة وان كنّا نجهل ما فيها.

– **اديب**: كان أحد اسـاتذتنا في الجامعة ، لا يرضى لنا ان نتكلم خلال المحاضرة او يقطع احد حديثه واذا حصل ذلك ينظر الينا بحسرة ويتنهد قـائلاً: مسـاكين انتم يا اولادي جيلكم تعبان ومتعب.

– **فرات**: كان ابي يشدّ من ازري كلما رآني محبطاً فيحدثني عن الأمل الأخضر الذي يجب ان لا يموت وان مرّت عليه سنوات عجاف لأنّها وان طالت ستنقضي ويبقى الأمل، فاذا كنتَ بلا امل فستكون الخسارة كبيرة لانك ستجد نفسك من غير نقطة استناد تتحرك من خلالها، بينما بقاء الأمل وان لم يتحقق مضمونه في تلك الفترة فإنه سيكون لديك رصيد تبدا به بعد زوال الكابوس وان كنت حينها ستبدأ من جديد الا انه افضل من كونك بلا رصيد، ثم اختفى ابي ولا ندري اين هو

الان، لم يبق منه سوى ذلك الأمل الذي ارى بريقه في عيني والدتي وهي تنتظره منذ عشر سنوات، ومن يدري قـد لا نراه مرّة اخرى، لأن من يعتقله الأمن فلا احـد يعلم مكانه غير الله.. كم حاولنا ان نعرف مكانه، لكن دون جدوى.

– **اديب**: بأي تهمة اخذوه؟

– **فرات**: بتهمة (حزب الدعوة).

– **اديب**: جراحاتنا عميقة وآمالنا على ضفاف الجراح تنمو ببطء شـديد مع الم كبـير، لكنها لن تموت ما دامت نظيفة ويجب ان لا تموت إلا أملاً في الحياة كما قال ابـو رافد في رسالته اليه الإسبوع الماضي، بـعد ان اراني رافد صورة طفليه مصطفى وهديل، قرأ عليّ قول ابيه:–

لم اكن ادري ان الظروف سوف تتغير لتصبح الحياة متعبة مؤلمة قاسية لهذا الحد، ففي الوقـت الذي اختار فيه القـدر زوجتك دون سابق انذار تاركة لك مصطفى وهديل، جاءت ظروف الغربة لتبعدك عنهما من اجل ان توفر لهما مستقبلاً افضل.. لستَ وحـدك يا رافد من قسـت عليه الايام، كل الناس هنا يبحـثون عن متنفس لضيقـهم، منهم من اختار رحلة الابتعاد عن الوطن مكرهاً لا راغباً، لتبـدأ تجربـة جديدة في حياتكم انتم الشباب، لم نمرّ بها نحن من قبل لاننا لم نكن ندري ان عجلة الزمان تتقدم الى الـوراء عندنـا.. هكذا يا ولدي اصبحنا لا نحـيا بـدون تزييفكم في الخارج، فاعذر اباك الذي لم يستطع ان يضمد جراحك بعد ان اثخنت

الايام جراحه وما عاد يقوى في هذا العمر على الحراك كما كان من قبل، هكذا صار قدرنا يا ولدي بعد ان اصبح المتفرجون في العالم يعرفون سيناريو المسرحية لكنهم لا يفعلون شيئا، وحيث اننا لا بد ان نعيش، ولا بد لمصطفى وهديل من حياة افضل، فان جراحنا ستستمر، فإما ان تضمد الجراح بعضها، واما ان نموت، لا رغبة بالموت ولكن املا في الحياة.

... خليني احجيلك هذا الموقف، حكاه لي احد الاصدقاء يقول: كانت بيبيتي رايحة للسوك وشافت حاجة وسألت عن سعرها فقال لها البائع بكذا، فقالت له بيبيتي يمعود اشدعوه، فرد عليها البائع وبسرعة: إشـــــــــــــ يمعوده لا تكولين دعوه تره يعدمونه..

– **فرات**: قد نكون تمكنّا من ايجاد متنفس لضيقنا من خلال السفر وايجاد فرصة عمل نحسّن من خلالها اوضاع اهلنا، بينما هناك العديد من الناس ممّن يرغبون في الحصول على مثل هذه الفرص لكنهم لا يستطيعون لسوء حالتهم المادية، فاكثر الناس لا تملك اكثر من قوت يومها، والحكومة فرضت ضريبة كبيرة على السفر وصلت الى ٤٠٠ الف دينار.

– **اديب**: لست ادري كيف اختارت الحياة توزيع الأدوار علينا وبأية معايير تختارنا لادائها، منّا من يتحمل فوق طاقته ومنّا من يتفرج دون حراك مثلما حصل لي مع خالي

سعدون حين قصدته ذات يوم وانا استعد للسفر، كانت المرّة الاولى التي اقصده فيها في مساعدة، وحين اوضحت له ما انا عازم عليه وبيّنت له انه سيسلّفني المبلغ على ان اردّه له عند حصولي على العمل ان شاء الله، لم يكن من خالي العزيز الا ان اكفهرّ وجهه وكأن هماً كبيراً قد نزل به وراح يوضّح لي ركود العمل وقلّة المال وما الى ذلك، لم اكن لأجد بدا من محاولة الحصول ولو على القليل القليل لأنني في وضع لا أحسد عليه فطلبت منه ولو (٥٠) دولارا بعد ان كنتُ اطمعُ في الحصول على (٢٠٠)او (٣٠٠) دولار لأنني اعلم بحالته المادية الجيدة جدا، وحتى الـ (٥٠) دولارا اعتذر او تحجّج بعدم وجود أي مبلغ معه وراح يخبرني انه سيحاول مع احد اصدقائه عسى ان يكون مع احدهم، خرجت من بيته وانا في اشد حالات الاستياء، فلو كانت حالته لا تسمح لكنتُ عذرته وما كنت لأذهب اليه اصلاً ولكن القرابة هي التي دفعتني اولاً، وثانياً وضعه المادي الجيد، ولكن مع الأسف كل ذلك كان مخيبا للآمال، وقد كان الشاعر مصيبا حين قال:-

اذا لم يسالمك الزمان فحارب

وباعد اذا لم تنتفع بالأقارب

ومع ذلك فان رحمة الله تختار لك دوما الاشخاص الكفوئين والذين يمكن ان يسدّوا ثغر الاقارب الكبير، فعندما عدت الى البيت كان صديقي ماجد قد ترك لي خبرا يطلب فيه

زيارتي له بأسرع وقت وكان على علم بسفري ولما زرته كان قد هيأ لي وبدون ان اطلب منه مبلغ (١٠٠) دولار وقال هذا دين عليك وانا اعرف انك محتاج لكل دينار وان شاء الله سيوفقك المولى وتعود الينا وانت باحسن حال.

كانت كلمات رائعة وموقفا طيبا لكنه لم ينسني جرح الموقف السيء لخالي سعدون، خصوصا عندما حدث موقف مماثل بين استاذ حمزة وابن اخته وان كان الحدث والتفاصيل تختلف الا انها تنصب في نطاق القرابة، فقد وصلت الى استاذ حمزة رسالة من ابن اخته في العراق وهو يزف لخاله نبأ زواجه، هذا كل ما كان في الرسالة كما حدثنا هو عندما سأل عن أي شخص يمكن ان يسافر الى العراق لكي يبعث معه ٥٠ دولارا يريدها هدية لابن اخته بمناسبة زواجه، وقد لا ترى غرابة في هذا الموقف ولكن عندما تعلم بوضع استاذ حمزة فإنك ستتعجب ...

- **فرات**: لقد شوقتني الى معرفة هذا الرجل.

- **اديب**: استاذ حمزة مدرّس لغة عربية في ثانوية البنات .

- **فرات**: اليس هو ذلك الرجل المسن طويل القامة، ذوالشعر الأبيض الكث.

- **اديب**: نعم هو .

- **فرات**: كنت قد رأيته يتحدث مع سلمان ذات مرة في الطريق الا ان سلمان لم يعرفني به.

- **اديب**: عموما، هذا الرجل وبشكل مختصر، خارج

العراق منذ ثلاثين عاماً، اخر محـــطة وصلها هي ليبـــــيا وبسبـــب مشـــاكل لا مجال لذكرها الآن فقـــد الغي عقـــده المغترب وحُوّل الى عقد محـــلي وليس هذا فحســـب وانما فرضوا عليه عقوبة تمثلت بعدم اعطائه الرواتب الا بعد كل سنة تقريبا ان لم يكن اكثر او اقل ، ويسكن في المدرسة في غرفة بائسة، ومع ذلك حين اخبـــره ســـلمان بـــعدم وجود ضرورة لأن يرسل لابن اخته هذا المبلغ، قال له:-
هذا شــــاب، ويعرف ان خاله في الخارج ثم انني لم اره الا صغيراً وها هو اليوم يتزوج وقد يعتب عليّ لانه حـــتما لا يعرف ما انا عليه من ظروف، لذا لا بدّ ان افرّح قلبه، ثم ان وضع اختي المادي ليس بالذي يدعو للاكتفاء بارسال بطاقة تهنئة بالمناسبة وحسب.
تصور، هذا موقف وذاك موقف!!!
- **فرات**: الايام تدور يا صاحبي وان شـــاء الله ســـننجح في الغربة وجراحنا بدل ان تموت فإنها ستغذي شرايين الحياة الفقيرة لتنمو وتخرج من حالتها نحو الاحسن، ولا شـــك في ان خالك الان يدرك ذلك.
- **اديب**: ربما، قد علمت من احدى رســـائل ابـــي اليّ انه اضطر للإستلاف منه وطلب مني ان اكتب له اطمئنه انني سأسدّد له ما بذمّة والدي، لأن ابي يعرفه وانا كذلك فأنه لن يصبر على ابي اكثر من مدّة قـــليلة قـــد لا تتجاوز الشـــهر وحـــيث ان اوضاع ابـــــي او هي على العموم كانت هكذا

الأوضاع في العراق لا تدعو للتفاؤل بحـــيث يســـتطيع ان يرتب اموره خلال مدة محـــــددة لذلك طلب مني والدي ان اكتب الى خالي موضحا له انني من سيسدد المبـــلغ عوضا عن ابي فلا داعي لاحراجه كل مرة، وفعلا كتبت الرســـالة من منطلق رفع الاحراج عن ابـــي، ومرت الايام واذا بـــه يرسل لي رسالة يوضح فيها عتبـــه علي لأنني كتبـــت له رسالة عن الدَيْنْ والفلوس قـــائلا (ماكو فرق بـــيناتنه، هذه الفلوس فدوه الك ولأبـــوك)، ثم انني ما فكرت بمطالبـــة والدك بالمبلغ.

تصورّ الفرق بين كلامه في الرسالة وبين كلامه معي حـــين كنتُ في العراق ابتغي مساعدته !!!!

-**فرات**: اذا كان سلوك خالك هذا فطرياً وليس مكتسباً بفعل الحياة الجديدة في العراق فالمثل يقول (لا يصلح العطّار ما افسد الدهر)، أما الحياة اليوم فقد أصبحت قاسية جدا في العراق والناس هناك لا يتعاملون الا بالمال ولا قيمة لاشياء كثيرة كانت تنعم بها الحياة، وهذا الكلام ليس عاماً قدر ما هو شائع جداً، ولعل هذا ما جعل الإختلاف واضحاً بين موقف خالك معك وموقف استاذ حمزة مع ابن اخته، فاستاذ حمزة منذ سنين خارج العراق كما اخبرتني، وقد تنقل في بلدان عديدة، وهذا بلا شك قد اكسبه خبرات عديدة وهو في الأقل لم يصب بالتلوث الذي اصيب به كثيرون في بلادنا اما مكرهين او متقبلين، ومع ذلك فالنفوس الضعيفة كثيرة مثل الحاج علي، تاجر الأقمشة في سوق التجّار الذي حدثتني عنه.

– اديب : نعم، فعندما علم بسفري، ولكي لا يفسح المجال امامي اذا انا فكرت بطلب مبلغ من المال منه، قال (اذا ما عنده فلوس يسافر بيها خلي يبيع طحين براس الشارع حاله حال غيره..)، ولما كنت مضطرا ولا مجال امامي وعليّ قبول كل ما يقال لأجل ان احقق غايتي فقد تقبّلتُ منه كل ما قال لأنني كنت في امسّ الحاجة للمساعدة .

– **فرات** : لا تطلب الحاجات الا من اهلها.

– **اديب** : نعم هذا صحيح، وعندما لم يجد بدا من مساعدتي طلب مني ان اذهب اليه الى المحل وهناك نادى على جاره

ابو صلاح وقال له :-
ابو صلاح هذا ابن اختي الذي حدثتك عنه وطلبت منك مبلغا من المال كي اعطيه له لأنه سيسافر، لاحـــظت الرجل كأنه نوعا ما استغرب من الحديث ولم يكن منه الا ان قال نعم من الافضل لك ان لا تبقى في العراق (روح شوف مستقبــلك برّه)... هذه هي صلة الرحم !!!!.
- **فرات** : الحديث عن مثل هؤلاء لا يليق بنا، وعلى العموم (الدنيا دوّاره).
اريد منك ان تصحبني غدا الى استاذ حمزة لاتعرّف عليه بعد ان تخبرني قصته.
- **اديب**: لك ما شئت.

ترك استاذ حمزة العراق في بـــداية السبـــعينات، وهو من اوائل المنظمين الى الحزب، الا انه لم يشأ العمل مع جماعة صدام لقناعته انهم لا يمثلون الوجه الصحيح للحـــزب كما يقول هو دائما..
اضطره موقفه هذا الى الأعتقال في قصر النهاية وكان من المتوقع اعدامه، الا انه خرج بإعجوبة، قـــرَّر بـــعدها عدم البقاء في العراق وتمكَّن من خلال احـــد المناضلين الاوائل الذين يعرفهم والذي تسلق مع المتسلقين لأنه يريد ان يعيش على حد رواية استاذ حمزة للاحداث، قـــصد صديقـــه هذا والذي صار يعمل في التربية..
طلب منه المســـاعدة في الخروج من العراق، وذات يوم ارسل في طلبه ليخبره ان بعثة ستسافر الى الجزائر للتعاقد هناك مع المدرسين وانه سيدرج اسمه ويحاول ان يمشـــي الأمور، يقول استاذ حـــمزة ان المعاملة وصلت الى احـــد المسؤولين والذي اراد ان يعرقل الأمور لانه يعرف استاذ حمزة جيدا وحـــاول الانتقـــام منه لأنَّه رفض خطَّهم الذي اختطوه للحكم في البلاد، الا ان ايادي القدر شـــاءت التدخل لانقاذ استاذ حمزة، وهو عندما يتحدث عن ذلك تراه مبهوراً بأنه استطاع الإفلات من قبضتهم..
ومرَّت الأيام ليسافر حمزة الى الجزائر مدرِّسا للغة العربية في العاصمة، وتمرُّ السنون لتحتلَّ الجزائر في حـــياته ركناً مهماً ولعلك ستلاحظ ذلك عليه فكلما تحـــدَّث عن الجزائر،

انفتحت اساريره وابتسم منشــرح الصدر، وراح يتحــدث بشوق وحنين الى تلك الذكريات.
– **فرات:** وكم بقي فيها ؟
– **اديب:** اعتقد ثمانية الى عشر سنوات، لا اذكر بالتحديد.
– **فرات:** هل هو متزوج ؟
– **اديب:** تزوج من جزائرية، الا ان زواجهم لم يدم طويــلا بسبب استاذ حمزة كما يروي هو اذ يقول:–
(حقــها اني كنت اخرج الصبــح للدوام واعود على الغداء وانام الظهر لاخرج عصرا الى المقهى حــيث الاحــاديث السياسية وابقى الى الليل حيث اشرب مع الاصدقاء وهكذا الى منتصف الليل او الصباح واعود ثملا او متعبــا، مما لم يجعل الزوجة تتحمل ذلك) حتى قالت لي:–
تزوجت لأكون امرأة وامًا، وانت لا تريد ان تحقق لي ذلك فإما ان تتركني، وإما ان تغيِّر نظام حياتك...
وهكذا كتب على زواجنا الفشل، فأنا في الحقيقــة لا اصلح لأن اكون زوجاً.
هكذا امضى استاذ حمزة السنوات المتبقية في الجزائر، كنا اذا سألناه عمًا جمعه من مال خلال تلك السنوات يقول:–
خويه انه اشتغل السنة كلها واجمع فلوســاتي واســافر الى فرنسا وهناك اصرف كل فلوســـي ، وداعتي وداعتك لو ما اسوي هيج جان متت من زمان، وبعدين الَمن اضمّ الفلوس، ماما، داده...

بس مع ذلك جانت اموري ممتازة، الى ان كتب احدهم عني
انني اتحدث في المقاهي ضد الحكومة.

-**اديب**: سلام عليكم استاذ حمزة، .

– **استاذ حمزة**: هله خويه، عليكم السلام، تفضل.

– **اديب**: معي ضيف.

– تفضل اهلاً وسهلاً.

– **اديب**: اخونا فرات، صارله مدة يريد يشـــوفك ويتعرف عليك.

– **استاذ حمزة**: اهلاً وسهلاً، تفضلوا

– **فرات**: سمعت عنك كثيرا، الليبـــيون هنا كلهم يعرفونك تقريبا.

– **استاذ حمزة**: مولاي اني صارلي سنين ويّاهم، شلون ما يعرفوني، وبعدين اكثرهم اني درّست ولدهم وبناتهم.

– **اديب**: كنت احـــــــدث فرات عن الجزائر وايامك فيها

– **استاذ حمزة**: الله شيرجع ذيج الايام، جنت عايش حـــياة حلوة.

– **فرات**: وليش تركتها.

– **استاذ حمزة**: مولاي همّة طردوني، ما سْولفلك اديب.

– **فرات**: كان قد وصل الى هذا الموضوع ونحن على باب المدرسة.

– **استاذ حمزة**: مرّة من المرّات كنت جالســـاً في المقـــهى ودار حديث بيني وبين اخرين كعادتنا كل مســـاء ، احـــتدم النقاش وكان عن الجزائر وحكومة الجزائر في ذلك الوقت، فقدتُ اعصابي وقتها لأن احدهم استفزني فسببت الحكومة،

واتضح ان هذا الشخص قد كتب ضدي تقـريرا للحـكومة فالغي عقدي وتم طردي نهائياً من الجزائر، ركبتُ سيارتي وجئتُ الى ليبيا.. وذاك يوم وهذا يوم..

– **فرات:** اديب يقول انك هنا منذ سنين.

– **استاذ حمزة:** تقريبا راح يصير (١٢) سنة.

– **فرات:** ما فكرت بالرجوع الى العراق.

– **اديب:** استاذ حمزة سولف براحـتك، لا تخاف تره فرات امان.

– **استاذ حمزة:** اني مطمئن ما دام هو ويّاك، وبعدين ابـن الحكومة امبين ذاك هو.

لا خويه مادام صدام موجود اني ما ارجع، اذا رجعت غير يعدمني، وبعدين شكول للناس، ليش اني طلعت وليش راجع هسه، مو عيب عليّ بعد كل هذي السنين استسلم بسهوله.

– **اديب:** هذا موضوع قديم استاذ حمزة بـس انت تبـالغ، يمعود هسه منو على باله.

– **استاذ حمزة:** مولاي انت ما تعرفهم، هذوله عصابه اولو بعد مية سنة ما يجوزون مني، اني اعرفهم كلش زين.

– **فرات:** ما رأيك بالليبين ؟

– **استاذ حمزة:** والله على العموم ناس طيبـين، يعني الدنيا وناسها ومشاكلها بصوب، وهمّه بصوب.

– **اديب:** تره استاذ حمزة عنده علاقات واسعة ويه الليبـين وبعدين عنده مشاكل قديمة ويّاهم.

- **فرات:** شلون... !؟
- **استاذ حمزة:** هذه الامور كانت في البداية، اول قـدومي من الجزائر، فأنا امضيت عمري في الحديث عن السياسة، ولم استطع السكوت، وعندما جئت الى هنا تكلمت وانتقدت الأوضاع.
- **فرات:** وماذا فعلوا لك.
- **استاذ حمزة:** الحقيقة تعاملوا معي بشكل ممتاز.
- **فرات:** وكيف ؟
- **استاذ حـمزة:** طلبوا مني الحـضور الى مديرية الأمن، ذهبتُ الى هناك، فتحدثَ اليَّ الضابط وقال:-
اسـتاذ انت هنا في الجماهيرية لكي تعمل ولا مانع لدينا من بقـائك سـنين، كما لا نمانع من عملك، لذا عليك ان تكتفي بأنك هنا من اجل الكسب وفقـط، اجمع ما شـئت من المال وابق ما شئت من الوقت، اما ما تتحـدث بـه للاخرين فهو ليس لمصلحتك، وهذا البلد بلدنا ونحن من يدير الأمور فيها ولا نريد من احد التدخل، ارجو ان يكون هذا الكلام بمثابـة درس لك لأننا في المرّة القـادمة لن نتسـاهل معك.
- **فرات:** والله شيء جيد وطريقة جيدة، لو كنت في العراق لاعدموك بدون مقدمات.
- **اديب:** ليش هو تاب بعد هذا الكلام والتهديد.
- **استاذ حمزة:** اكثر الليبين اما في الشـرطة او الامن او المخابرات واي كلمة تقال تصل الى المسؤولين بسـرعة،

وانا لا اعرف السكوت فقد ارسلت مديرية الامن في طلبي مرّة اخرى وهذه المرّة بدأت العقوبة.

– **فرات**: ماذا فعلوا لك ؟

– **استاذ حمزة**: الغوا عقدي المغترب وحـــوّلوه الى عقــد معاملة الليبين، أي انني اتقاضى مرتبي كما ابن البلد بدون تحويل الى العملة الصعبة، وليس هذا فحســـب بــل تعمدوا عدم اعطائي المرتبات الا كل سنة او سنتين او ثلاثة وما لم اتوسط وأعاني، ما كانوا ليصرفوا لي مرتباتي.

– **فرات**: عقوبة نكدية.

– **استاذ حـــمزة**: وانا على هذا الحـــال منذ حـــوالي ثماني سنين.

– **اديب**: مو زين ما طردوك من ليبيا كلها.

– **اســتاذ حـــمزة**: امضيت العمر وانا افكر بـــالاخرين، واتحدث باسم الاخرين، لم اكن اعط اهمية لحياتي الخاصة كان يكفيني ان اعيش يومي، حتى وجدت نفســـي مهملاً من قبل الاخرين، خارج نمط الحياة الجديدة، كانت هموم الناس ومشـــاكلهم ومعاناتهم هي الدافع الاكبـــر لي ولغيري من المناضلين للعمل والبقاء، والمناداة بالحرية تغطي على كل هدف شخصي اخر نفكر به، وفي النهاية ها انا ذا اسير هذه الحـــياة التي لا تريد ان تنتهي ولا تريد ان تريني ذلك اليوم الذي طالما حـــلمت بـــــه، منذ ١٩٧٠ خرجت من العراق ولليوم مررت خلالها بالعديد من الدول وعملت في السياسة

التي لا اعرف حرفة غيرها، فدخلت السجون، وضُربتُ، وطُردت، حتى استقر بي الحال في هذا المكان.

- **اديب:** الحديث معك يا استاذ حمزة ممتع ومشوق، والساعة الان الثانية عشرة ونريد الذهاب.

- **استاذ حمزة:** زوروني كل مرة، وجيب فرات ويّاك.

- **فرات:** ان شاء الله.

- **اديب:** في امان الله.

- **استاذ حمزة:** في امان الله.

في الطريق العام وباتجاه بيت استاذ علاء.
– **فرات:** لست ادري، امسكين استاذ حمزة ام ان الحـــياة لا تحترم معاناة الآخرين، وهل هو السبـــب في ما وصل اليه حاله ام ان هناك اموراً اخرى ارغمته على ان يكون في هذا الوضع.
– **اديب:** كل الإحتمالات واردة، فأحياناً لا يمكنك ان تفعل الشيء الصحيح لأن الخطأ هو الغالب، ومواجهته توقـــعك في مشاكل كثيرة جداً، هنا في ليبيا على سبيل المثال، عندما تعيّنت في المعهد، سلّموني طلبة المرحـــلة الأخيرة، وفي نظام المعهد المتوسط فإن الطالب يُحرم من دخول الإمتحان النظري اذا كان راسباً بالعملي، وبهذا فهو يعدّ راسبـــاً لذلك العام، وكنتُ انا ادرّسهم العملي مع مدرّس ليبي، وفي آخر العام رسب تسعة طلبة في الإمتحان العملي، سلمنا النتيجة الى الإدارة، وكان الأمر طبيعياً عندي حتى فوجئت عصر ذلك اليوم بـــ(صالح) مدرّس (الوعي السياسي) في المعهد يريد التحدث اليّ في موضوع:
– **اديب:** تفضل صالح، خيراً ان شاء الله.
– **صالح:** استاذ اديب كديش صارلك في ليبيا ؟
– **اديب:** تقريبا ستة اشهر.. لماذا ؟
– **صالح:** هل تعرف اســـتاذ ســـلمان ، المدرّس في ثانوية البنات، وغيره من الأساتذة العراقـــيين هنا في رقـــدالين ؟
– **اديب:** نعم، اعرف الأستاذ سلمان.

– **صالح**: الم يخبرك بشيء ؟
– **اديب**: بماذا يخبرني.. لم افهم منك شيئا.
– **صالح**: استاذ اديب ، انت جديد هنا ، وربما لا تعرف اموراً كثيرة.
– **اديب**: انا لا افهمك يا صالح، ليش ما تخش بالموضوع وتريحني.
– **صالح**: استاذ اديب، عندك تسعة طلبة سقطوا في العملي، صحيح ؟
– **اديب**: هذا صحيح.. ما المشكلة.
– **صالح**: استاذ، معهدنا ليس المعهد الوحيد في الجماهيرية
– **اديب**: ما زلتُ لا افهم.
– **صالح**: الطلبة الذين رسبوا بالعملي لن يُسمح لهم بدخول الإمتحان النظري، هل لديك علم بذلك.
–**اديب**: نعم.
– **صالح**: هذا يعني انهم راسبون هذا العام، وهذه هي المشكلة.
– **أديب**: واين هي ؟
– **صالح**: (ما عندناش طالب يسقط، وخصوصاً بالعملي، وبعدين هذيله الطلبة ممكن يديرولنه مشاكل كثيرة، وخصوصاً اذا كان احدهم ابن مسؤول كبير أو من عشيرة كبيرة او أي حاجه، هذيله ممكن يسكروا المعهد، وبعدين انت ليش تخلي نفسك بالمشاكل، خليهم ينجحوا بالعملي

وبعد تالي كل واحد يدبر راسه بالنظري، اذا سقطوا يكون الخلل منهم مو من المعهد بس توّا ممكن تجينا مشاكل كثيرة، وتحقيق و غيره، واحنه مش فاضين لهذه المشاكل).
– **اديب**: وماذا عساني افعل، النتائج سلّمت، ولا استطيع فعل شيء.
– **صالح**: انا اريد تعاونك معي وانا اكمل الباقي.
– **اديب**: وكيف ؟
– **صالح**: ان توافق على اعادة الإمتحان للطلبة.
– **اديب**: بس المشكله ان الطلبة قد غادروا المعهد ويصعب ابلاغهم، كما ان الإدارة قد لاتوافق على ذلك.
– **صالح**: الطلبة والادراة عليّ، انا ارتبها، انت بس وافق.
– **اديب**: اذا كان ذلك سيسبب لنا المشاكل فأنا مستعد للتعاون.
– **صالح**: ستكتب الإدارة الى رئيس القسم تطلب منه اعادة النظر في نتائج الإمتحانات العملية، بشكل علمي صحيح، وستطلب منك إعادة الإمتحان وان تقدّر النتائج انت وستكون النتائج التي تقدّمها هي المعتمدة.
– **اديب** : قصدك نجاحهم كلهم ...
– **صالح**: نعم هذا هو المطلوب، كما اوضحت لك.
– **اديب**: افعل ما تراه مناسبا وصحيحا، واذا كانت الادراة ترى ذلك، فأنا لا مانع عندي وان كنت غير مقتنع بهذا الإجراء الخاطيء.

– **صالح**: ستريك الأيام القادمة اشياء اكثر واغرب.
الله غالب يا استاذ.
– **اديب**: نعم، الله غالب.

– **اديب**: هذه مثلاً مشكلة من مشاكل الحياة الاجتماعية، ففي الوقت الذي ينبغي لنا ان نؤدي دورا في حلّها، وجدنا انفسنا نمشي مع الموج، ولست وحدي، فأكثر المغتربــين يعانون من هذه المشكلة .. نحن اغراب في هذا البــلد، وليس لدينا من يدافع عن حقوقنا، في العام الماضي، وفي مدينة الزاوية دهست سيارة، أحد العراقيين وهو استاذ في جامعة السابــع من ابريل، عندما كان يعبــر الشــارع الى الجهة الاخرى، ولمّا ذهب وفد من اساتذة الجامعة الى الســفارة العراقــية، لكي يطلبوا منهم التدخل لإستحصال حقوق زميلهم، اجابهم الموظف المسؤول:
إحْنه ما دزّينه عليه منو كالّه يجي.
– **فرات**: موقف مو غريب عليهم.
– **اديب**: عموماً، من هذا الموقف وغيره، نجدنا بحاجة الى التصرف بما يحفظ لنا وجودنا بــعيداً عن ارتكاب الأخطاء الكبيرة التي قد لا نجد ثمناً ندفعه لها.
– فرات يدندن مع نفسه بصوت مسموع:
هم هاي دنيا وتنكظي وحساب اكو تاليها.....
– **اديب**: أيـــــــه... أيـــــــه.
يله خويه تصبح على خير
– **فرات**: وانت من اهل الخير.

الأيام تمضي واجازة نهاية العام الدراسي تقترب..
كل هواجس استاذ محمد تتوقد وتحركاته تكثر وقلقه يزداد، هو يحاول الحصول على الإجازة والإستفادة من الوقت لكي يقضي اطول فترة ممكنة مع اولاده في العراق، وما بين تقديم طلب الحصول على الإجازة وبين الحصول على موافقة الجوازات بالسفر وبين الحجز في المطار حيث تنشغل الخطوط وقد لا يجد موعداً قريباً للسفر، وبين شراء الهدايا للأهل والأصدقاء، لم يتردد في ان يسألني ما اذا كنتُ انوي إرسال هدايا معه الى الأهل، وكنتُ قد هيأت رسائلي وبعض الهدايا لأهلي، الا انني ترددت في طلب ذلك منه لما يمكن ان تسببه الهدايا من ثقل عليه.
موعد سفر استاذ محمد يقترب، ففي يوم الاثنين الموافق ٨/٤/ ١٩٩٩، وفي الثامنة صباحاً عليه التواجد في مطار طرابلس العالمي لأن موعد الإقلاع سيكون في العاشرة صباحاً بإذن الله..
خرج اديب مع استاذ محمد فجر الإثنين في الساعة الخامسة بعد ان اتفق مع سائق سيارة ليوصله الى المطار..
في المطار بدأت اجراءات السفر، وما هي الا ساعة تقريباً حتى طُلب من المسافرين التوجّه الى الطائرة..
على الرغم من تكرار لحظة الوداع مع الكثير من الأصدقاء الا انها تبقى لحظة مؤلمة وخاصة عندما تفصل بين صديقين او مجموعة جمعتنا الأم واحلام مشتركة، ورغم

اننا لم نكن نملك قدرة الخروج من تعريف الانسان إنه كتلة من المشاعر والاحاسيس، فموقف كموقف الوداع هذا يعيد للذاكرة تلك المواقف المشابهة التي كانت اشـــدّ ألماً وأوجع في النفس من هذه المواقف لأنها ولدت عن تكرار لسابقاتها، امّا الولادة الأولى للحظات الوداع فكانت في العراق حــيث نخوض التجربة لأول مرّة على الصعيد الشــخصي وعلى صعيد العائلة العراقية، اذ ان الفارق كبير وواضح بــين ان نسافر بــهدف العودة بــعد انجاز عمل ما أو رحــلة معينة محددة، وبين ان نسافر لأجلٍ غير معلوم بهدف الغربــة.. كانت دموع الأهل خير ترجمان لهــذا الفــارق، وكانــت نظرات أمي تبدو خائفة من الزمن القادم، ناقمة على الزمن الحالي، فكانت يداها لا ارادياً تمسك بــي بشــدّة، فلا هي ترضى ابتعادي عنها ولا هي ترضى وجودي متعباً مهموماً بقربها.. كانت الدموع تنطق بدل تلك الإضطراب، حنوت على يديها، قبلتها واملّيت على شفتي ان ترســم بــوجهها ابتســامة ولو على مضض لعلي امتصّ بــعض آلامها، واخفّف بعضاً من ذلك الهلع الذي انتابها وان اهمّ بالخروج من الدار.. ركضت ورائي الى البــاب وعيونها لا تزال تذرف الدمع وشفتاها ناشــفتان فرّت منها كل الكلمات، لم يعد هناك لفظ يستطيع ان يعبــر عن جيل بــين زمنين في لحظة واحدة وبكلمات معدودة.. راحت يداها تمسك بعضها وفي داخلها تعتصر الألم ويحــدث التفاعل داخل نفســـها

فتنهمر الدموع من سماء عينيها وما هي الا دموع الحـــزن ولوعة الفراق التي لم تستطع ان تروي وجهها الذي اصفرَّ وبان فيه الشحـــوب، وشـــفتاها التي جفّت كأنها لم تلامس عروقاً دافقة منذ زمان بعيد ، وصوتها الذي بُحَّ، وحنجرتها التي اضطربت، حتى ما عادت تعرف كيف يصاغ الكلام، او كيف ينشأ الصوت فيها.. كنت اتمزق انا ايضاً من داخلي لكنّي لم اشـــأ ان ابـــيِّن ذلك لكي لا ازيد معاناتها، وكنت اتظاهر بالإبتسامة رغم ان كل جسمي يرتعش كلما نظرت الى عينيها.. ماذا عسانا نفعل ونحن يوماً بـــعد آخر نتجرَّد حتى من قدرة التعبير عن مشاعرنا وترجمةَ ما في نفوسنا، عاجزون حتى عن رسم ملامح حياتنا رغم وجود المقـــدرة على ذلك، انه أمرٌ صعبٌ ان نمتلك، مرغمين، القدرة على الموت البطيء، لأن قنوات الحرية مشفَّرة في بثنا المشوَّش، ولأن ثمانية وعشـــرين حـــرفاً في لغة العرب لم تســـتطع الوقوف بوجه كلمة تفوَّه بها شيطان، فصارت سوطاً بـــيد الحياة، تضرب به الأبرياء وتفرِّق به شمل الأحبة.

طلب اديب من فرات البقاء معه أيّام سفر الاستاذ محمد، لأن البيت ، سـيكون فارغاً عدا وجود ابـو ملهم، وهو مهندس كهرباء في المعهد العالي في رقدالين ، وحيث ان اديب ليس له سابق معرفة بهذا الشـخص، كما ان له علاقـات تجعله يمضي اكبر وقته خارج البيت، بالإضافة الى ان سـكنه في البيت جاء بإلحاح وطلب من استاذ حمزة، لأن اديب يقول:
انني لمّا مللت السكن في المعهد لأسبـاب كثيرة منها كون السكن عبارة عن غرفة وسط المعهد، وبعد صرف الرواتب اخذت الأمور تمشي بشكل جيد بحيث يمكنني ان اسـتأجر بيتاً، كنتُ اول الأمر ارغب في استئجار بيت لوحدي بعد ان وجدتُ الإختلاط مع الناس وخصوصاً العراقـــيين في الخارج، متعبة وغير مجدية لأن المشـاكل كثيرة والفائدة قليلة أو معدومة، حتى ان الحاج (امبيّه) الليبي قال لي ذات مرّة : (يا استاذ احنه شـفنا ناس كثير في ليبـيا بـس اني ملاحظ حالة غريبة عندكم انتوا العراقـيين وهو انكم وكأنه محدّش يعرف الثاني مع انّوا كلكم عراقيين).
لم اجد ما ابرّر به ما قاله الحاج امبـيه غير أن اقـول ان النظام في العراق ولمدّة طويلة من السنين قد دسّ العديد من عناصره للتجسس على الناس، وقد حـدثت مشـاكل كثيرة بهذا الشان، لذلك نحـن هنا نتحاشـى التعرف على من لا علاقة مسبقة لنا به خشـية الأذى الذي يمكن ان يلحقـنا او اهلنا في العراق.

كان وجود فرات معي في البـــيت ووجودي معه عصر كل يوم في محل عمله ، قد خفف ثقل تلك الأيام، فعلى الرغم من محاولة المواجهة وتحدي ازمات الوقت والرغبة في اثبات الوجود كنتُ احسـس بــعض الدموع تطرق نافذة عيني ترقب انفتاحها لتنهمر ، وكنت اذا خلوت الى نفسي اطلق لها العنان فتجري غاسلة همومي، وطموحي الذي تكدّست عليه اتربة الإحباط والشعور بعدم الوصول الى نتيجة ايجابية في زمن لم يستطع فيه بستان من الشعر ان يكسر شوكة غرسها الواقع المرّ في جسـد الحـياة الجميلة.. الأمل راح يختنق، والعين ترقبه بسكون وصمت مطبقين وتقصر اشعة الشمس عن ان تصل جذور الروح، وتعجز كل الإنجازات الكبيرة في حـياة الناس عن اجتثاث معاناتهم ويأتي الليل ليطبـق خناقـه على الأنفاس المنهكة في صدور جيلٍ من الشبـاب الذين مرّت عليهم سـنوات الحـرب والحـصار فضاعت حياتهم بين هذه وتلك ودون أي شيء يستحق، وتمرّ ساعات الليل الثقـيلة ليأتي الصبـاح المخيف رغم جمال نغماته المعتادة، يمسك بـمفتاح يوم جديد ، لكنه لا يضيف جديدا، هكذا مرّت الأيام والشهور والأعوام، وكأن الحياة في عيون الكثيرين منا تقـف كل يوم ببـاب القـدر تبـكي وجودها وتتظاهر محتشدة امام التقويم، محتجّة على طريقة الحساب القديمة للأيام ، مطالبة بالتغيير، فإذا بصوت ام كلثوم ينبعث من المقهى المقابل لمكان عمل فرات:

يا حبيبي كُل شيء بقَضاء

ما بأيدينا خُلقنا تُعساء

ربما تَجمعنا أقدارنا ذات

يوم بعدما عزّ اللّقاء

يوم في شهر، وشهر في عام، والليل في رقداليين ينام قبـل اوانه بعد ان يتثائب ساعاته في افواه المسنين وهم يفترشون الرمل في ظل شجرة حـيث الظل البـارد صيفا، يلعبـون الكارتة (الورق) أو (الخربـكة) وهي مجموعة حـصى يحركونها على مخطط ربـاعي محـفور بـالعصى على الرمل، بينما بعض الصبية هنا وهناك يمارسون لعبـة كرة القدم التي لا بديل افضل منها للقضاء على الوقت، يساعدهم الفضاء الواسع لإقامة ملاعبهم، أما الكبـار منهم فينظمون الدوري في ساحة مدرسة ثانوية النصر للبـنات الكبـيرة، ويلعبون كل يوم تقريبـا أوقـات العصر حـتى الغروب، والبعض من الشباب يسحق وقته تحت عجلات سـياراتهم الحديثة الهاربة بهم وهي تلتهم الطرق لتودي يومياً بحـياة عدد منهم، فلا يكاد يمرُ يومٌ دون حوادث سيارات كما يقول د. فيصل، ومع ذلك فلا حدٌ لإستمرار هذا الموت الزاحـف عبر حديد السيارات الى شباب في مقتبل العمر بلا هدف او طموح في الحياة اكثر من العمل لبناء البـيت وتأثيثه لأجل الزواج، ومع وضوح الهدف فقـد يصل بصاحبـه حـدٌ لأربعين من العمر كي يحققه.

– **ابـو عجيلة:** (مدرب فني في المعهد): يحـتاج الزواج عندنا الى مصاريف كثيرة ابتداء من بناء البيت وتأثيثه حتى مصاريف الفرح.

– **سلمان:** هل بناء البيت، وتأثيثه ضروري قبـل الزواج ؟

لماذا لا يكون ذلك مستقبلاً، أي بعد الزواج؟
-**ابو عجيلة**: محدّش يرضى يزوج بنته لواحد معندأش حوش، قبل، على ايامنا كان هذا الكلام موجود، أنا مثلاً تزوجت في حوش سيدي، بس توّة الدنيا تغيرت والبنت متبيش تكعمز مع اهل جوزها ومرات اهلها ميبوش، هذا عليش الناس يديروا حياش قبل لا يجوزوا.
- **علاء**: بس هذا العمل ينعكس سلبياً على الزواج المبكر.
- **ابـراهيم**: معي في المدرسة ما لا يقل عن اربعين ابله، خمس وثلاثين منهنّ اذا لم ابالغ بدون زواج، والمشكلة ان اعمارهن تقترب من الثلاثين، والبعض منهن تجاوزن الثلاثين، وحتى الشباب الليبي كثير منهم اعمارهم كبيرة وبدون زواج، والمشكلة الأخرى ان عدد الإناث في ليبيا اكبر من عدد الذكور.
- **مولود**: (ليبي موظف في المعهد العالي): الله غالب يا استاذ.
- **اديب**: شنو ذنب البنت وخصوصاً ان العائلة الليبية كثيرة الولادات، واغلب هذه الولادات من الإناث، يعني كل بيت تقريباً اربع أو خمس بنات في سن الزواج.
- **ابو عجيلة**: كل واحد ياخذ نصيبه يا استاذ.
- **ابـراهيم**: انا الاحظ وجود مشكلة اخرى هي ان البنات اللاتي تتجاوز اعمارهن الثلاثين هنّ الضحية في مجتمع مغلق مثل هذا المجتمع، لأن الفرصة في الزواج ستصبح

نادرة جداً ان لم تكن معدومة، فالشـــاب الذي يقـــــدم على الزواج لن يفكر ببنت عمرها ثلاثين عاماً، اليس كذلك يا ابو عجيلة ؟

– **مولود** يقحم نفســـه: البـــنات هلبـــه يا اســـتاذ، اني مثلاً مانتجوزش غير بنت عمرها متاع عشرين أو أقل، وبعتالي الليبين يطلبوا منك نفس المهر اذا كانت بـــنتهم كبـــيرة والا صغيرة.

– **ابو عجيلة**: في عندنا شيابين كبار، مرّات الواحـــد منهم يبّي يجوز لأن جوزته ماتت ويبّي وحده ترعى صغاره ، او مرّات راجل مطلّق جوزته وعنده منها صغار ويبّي حـــــدّ يرعاهم، هذولا يجّوزوا البنات اللي اعمارهن عدّت ســـن الجواز.

– **اديب**: بالله عليك هو هذا الحـــل، ليش ما تكول المشـــكلة تتعلق بكبار القوم عندكم، يعني معقوله ما يكدروا يلاكو حل مناسب.

– **علاء**: يسعود الناس هنا مكسّله وما معتلّه على شي ...

– **ابـــو عجيلة**: شوف يا استاذ راهو كل واحـــد وقســـمته، وبعد تالي في اسباب كثيرة، مرّات الليبية طلبـــاتها هلبـــه والفقير مستحيل يكد يتجوز بـــهذه الطريقـــة، لهذا يتجوز برّانية، من تونس او من مصر او من أي مكان.

- **علاء** : عبد السلام اللي يشـــتغل معنا في المعهد زوجته مصرية، وفي كثيرين على هذا الحال.
– **مولود**: عبد السلام اللي يخدم في الحسابات ؟
– **علاء**: نعم.
– **مولود**: هنا البنت الليبية ما ترضاش تتجوز واحد معوق لهذا مفيش كدّامه طريق غير انه يتجوز برانيه، وهذا السبب على الأغلب هو الدافع وراء الزواج من برّانيه.
ومو بس هيك، هناك الجواز من قبــيلة غير القبــيلة اللي ينتمي الها الولد، مثلاً انت من قبيلة، باهي، وتحب وحده من قبــيلة ثانية، مرّات ما يجوز وهالك، اهلها يرفضوا أو أولاد عمها أو أي سبب آخر المهم يمنعوا الجواز من قبيلة اخرى.
– **اديب**: حتى لو لم يتقدم لها أحد من أبناء عمها أو اقربائها؟
– **مولود**: مرّات.
– **ابو عجيلة**: بس مش ديمه هذا الكلام يا مولود.
– **مولود**: اني ماكلتش انه هذا هو الماشــي، بــس موجود عندنا، وبعدين في حاجات عندنا راهو متخشش العقل.
– **ابو عجيلة**: زي شنو.
– **مولود**: اخي الكبير(عبد الســلام) ، خطب بــنت عمي وصارلهم تقريبا سنة مخطوبين وقبل شـــهر لما فاتح عمي بأنه يريد ان يتزوج، اخبره عمي انه لن يسمح بــذلك ما لم تتزوج اختها الأكبر، طلب منه (عبد السلام) ان يوافق على زواجه من ابنته لأنه اتم كل أموره ولا مبرر للانتظار فقــد

يطول الأمر اذا تعلق بـزواج اختها الأكبـر وهذه قسـمة ونصيب، ردَّ عليه عمّي انه اذالم تتزوج بنته الأكبر فإنه لن يسمح بزواج ابنته الثانية واذا ما يعجبـك الحـال افسـخ الخطوبة، وفعلاً تأزم الموقف وانتهى بفسخ الخطوبة..
دَوّه هذا الكلام باهي ؟.
– **فرات**: يعني عمك تسبب في الوقوع بهذا المأزق بسبـب الجهل، فبدل ان يزوج البـنت ويخفف عنه الحـمل، اغلق النوافذ امام بناته، اكيد البنت الليبية مظلومة عندكم !؟
– **ابراهيم**: استاذ حمزة يعرف الكثير عن عادات الليبـين فهو قديم هنا وله علاقات واسعة مع الناس، بـالاضافة الى انه يدرّس في ثانوية للبنات ومعه العديد من الأبلات، يقول ان شخصية البنت الليبية قوية ومتسـلطة اكثر من الرجل، لكنها بالمقابل اكثر نضجاً من الرجل، وتشعر انها ضحـية المجتمع والتخلف.
– **ابو عجيلة**: والله شنكولك، مرّات يكون كلامك صحيح.
– **مولود**: وشني الحال عندكم غادي في العراق ؟
– **علاء**: الزواج عندنا غير مكلف، بـل العكس، واهل العروس لا يشترطون وجود حوش مستقل، ولو ان البعض يفضل ذلك، كما ان الأمور تصبح اسهل بـكثير خصوصاً عندما يكون اهل البـنت على دراية كافية بـالولد واهله وطبيعة البنت العراقـية متفهمة وغير متسـلطة، بـعض العوائل تطلب من العريس عندما يكون غريبا عنهم، فانهم

يطلبون اشياء اكثر مما لو كان قريباً، هذا من ناحية الضمان او شيء من هذا القبيل.
– **فرات**: عندما اراد ابـن عمتي ان يتزوج، كنا من ضمن الحـاضرين ، كان جدي كبـير العائلة ووالد العريس واعمامه، وكان والد العروس واعمامها.. دار الحديث حول المقدّم والمؤخّر، وحيث ان خالي في وضع مادي جيد فقـد اراد ان يفرض مبلغا من المال ليحرج الحـضور ويجعله امراً واقعاً ، وافقه اخوته على ذلك، الا ان وجود الكبار مثل جدي ، جعله يرفض قبول ما قـاله خالي واعتبـره تجاوزا على ما هو متعارف عليه لأن فرض خمسة ملايين كمهر، سيغلق الباب أمام الشبـاب الغير ميسـورين اذا ما فكروا بالإقدام على مثل هذه الخطوة، وبالمقابل لكي لا يجرحـوا شعور الأب او لكي يمنحـوه كامل الإطمئنان، تعهد ابـوه واعمامه وكبار العشيرة بأن يقوم ابنهم باللازم واي تقصير يحدث فإنهم كفيلون بـه.. هكذا هي الأجواء عندنا، أو هكذا تركناها وراءنا ، وبلا شك ان الأحـوال الآن قـد تغيرت، لكنني لا اعتقد ان تلك العادات الجميلة قد تتغير.
– **اديب**: في هذه السنوات الأخيرة ربّما يمكنني القـول انها جعلت الوضع عندنا مشابـه لما هو عندكم من حـيث كثرة العوانس والشبـاب المضربـين عن الزواج، وهذا نتيجة للظروف الصعبة التي نعيشها ، اذ ان جميع النوافذ مغلقـة امامنا، فمع السـعي لكسـب المال، هناك هموم اخرى

وضرائب كثيرة علينا ان نســــددها، والجماعة يعرفون ما اقصد!!!

عموماً لا أحد يملك الرغبة في انشاء اســرة واضافة عبء جديد الى أعباء الحياة العراقية الثقيلة، ومع ذلك فالذي يريد ان يتزوج يجد من يسهل عليه الأمر، وفي كل الأحوال فإن العائلة العراقية لا تزال تحــتفظ بــذلك الإرث الجميل من العادات، وبحكم البيئة والتكوين فإن العائلة العراقية تختلف عن العائلة الليبــية في أمور كثيرة منها الزواج وما يتعلق بهذا الأمر.

– **مولود:** حتى نحن الشباب حــالنا من حــالكم، فربــما لا تعرفون ان هناك اموراً كثيرة صعبة في حياتنا، وضرائب كثيرة تنتظرنا، هناك امور كثيرة خافية عليكم، بحيث نبدو لكم اننا مرتاحون في حياتنا.

– **علاء:** مثل ماذا؟

– **مولود:** اشياء ربما لا يمكنني التحدث بها!!!.

– **اديب:** لا شــــك في انكم انتم ايضا تؤدون دورا في هذا الإخفاق.

– **ابو عجيلة:** تبُوا الحك يا جماعة، راهو احنه الليبــين ما نخدموش ونبَّي كل شي عالحاضر.

– **علاء:** العقوبة هي التي يمكنها ان تحــسّن وضع العمل، وتمشّي الامور بشكل جيد.

– **فرات:** والله، الضمير هو الأهم.

– **ابو عجيلة**: الضمير مهناش يا ودّي، ضمير شني !!!
– **مولود**: يا ابو عجيلة، الموضوع مش موضوع ضمير، انت تعرف ان الرواتب قليلة، واحـــنه اذا لم نجد عملاً أخر فلن نستطيع ان نبني حياش ونتجوز، ولا حتى بعد عشرين سنة.
– **علاء**: بس هذا ليس مبررا، مثلا بامكانك ان تداوم اوقات العمل وبعد ذلك يمكنك ان تعمل ما تشاء، بس انتوا متخنيها بالمرة، واحدكم يجي اخر الشهر ويريد راتبه كامل.
– **مولود**: هي الامور ماشـــيه هيكي وبـــعدين انتوا عليش موجودين، البركة فيكم !!!.
– **اديب**: احنه اهني حتى انتوا تتعلموا منا وبـــعدين تاخذوا مكاننا، مو تتركون كل شي بحجة وجود المغتربين.
صدقني، وبعدين يا اخي التعلم مكسب للشخص، يعني باجر عكبــــه، تضطرك الأيام لأن تســــــافر لأي مكان وان تعمل، ماذا ســـتفعل وانت لا تعرف أي شـــي ولا تجيد أي عمل ولا حتى تعرف الدنيا شلون ماشية، اخذنا احنا مثل، لو ما كانت معنا شهاداتنا وخبـــراتنا وفي مثل هذا الظروف، لكنا قد متنا من الجوع لأن راس العوجيه عندنا اعوج بشكل ملفت للنظر، بس مو معنى هذا ان نستســـلم، ولأنه لم نكن قادرين على كسر تلك الرأس فإن الهروب الى الخارج كان منفذا نتنفس من خلاله نحن واهلنا.
– **ابو عجيلة**: ما تعصبش يا استاذ.

- **علاء**: هذا بيناتنه بس.

- **اديب**: اكثر الطلبة عندي في سنة ثالثة دبلوم لا يعرفون حتى الكتابة بالعربي، واكتشفت ذلك مصادفة عندما كنت املي عليهم كتابة موضوع ما، استغربت لطلبهم مني الكتابة على السبورة ولأنني كنت متعبا لم اوافق على طلبهم ورحت املي عليهم حتى اكتشفت هذه المشكلة، تصور ان طالب عمره لا يقل عن خمسة عشر سنة او اكثر لا يجيد الكتابة، كيف يا ترى يكون مستقبل هذا الطالب.

- **علاء**: والمشكلة ان المناهج الليبية ممتازة، يعني هناك تناقضاً كبيراً بين مستوى المنهج ومستوى الطالب، حتى عندنا في المعهد العالي، هناك طلبة لا يعرف مبادىء الرياضيات الأساسية.

- **ابو عجيلة**: كل هذا بسبب الغش، كنا على ايامنا نتحشم المعلم يشوفنه نلعب في الشارع او مشّ محضرين الواجب.. توّا الطالب تضربه وما يعدلش عليك.

- **علاء**: الطالب بس يتخرج، اذا شافك مرة، حتى ما يكلك شلونك استاذ، يناديك باسمك وكانه انت صديقه وزميله بالدراسة.

- **اديب**: هناك طلبة جيدون ولكنهم قليلون جدا جدا والبلد بطبيعة الحال تعتمد على الطبقة الوسطى ما بين الأذكياء والمهملين، لهذا مستوى التعليم ضعيف وكل مفاصل الحياة استنادا لذلك تعاني من الألم، وانتم يا ابو عجيلة،

واعني بذلك اولياء الأمور، تؤدون دورا رئيساً في ذلك، مثلاً فترة الإمتحانات الماضية بينما كنّا انا واستاذ محمد خارج البيت عدنا بعد وقت المغرب فوجدنا ثلاثة من الليبيين يفترشون باب بيتنا ومعهم برّاد الشاهي والطيس، مما جعلنا ندرك انهم منذ وقت وهم على هذا الحال، سلمنا عليهم، سأل احدهم: من يكون استاذ محمد ؟

– **استاذ محمد**: نعم، تفضلوا.

– احدهم يتحدث: استاذ انا جارك وهذا بيتي مقابل بيتك.

– **استاذ محمد**: اهلا وسهلا، تفضل.

– استاذ، ابني يدرس عندك في الثانوية، في السنة الثالثة وهذه السنة الأخيرة وانت تعرف.

– **استاذ محمد**: لكنني لا ادرس السنة الثالثة، انا ادرس السنة الثانية فقط.

– بس انت مدرس رياضيات، ومفيش فرق بين السنة الثانية والثالثة.

– **استاذ محمد**: على العموم شنو المطلوب مني.

– غدوه امتحان رياضيات واحنا نبّو مساعدتك.

– **استاذ محمد**: يعني تريدني ان ادرّس ابنك اليوم.

– لا يا استاذ معادش في وقت، احنه نبّوك تساعد الولد غدوه في الامتحان، ومتخافش، احنه نبّوك تكون الصبح موجود هنا في الحوش واحنه انجيبلك الاسئلة حتى تحللهانه.

– **استاذ محمد:** بس هذه مهمة صعبة وانا رجل كبير، ولم افعل مثل ذلك في الثلاثين عاماً لي في التعليم في العراق.
– يا استاذ احنه جيرانك وحقّ الجار على الجار، وتفضل كانك تبّي حاجه، أي حاجه احنه حاضرين.
– **استاذ محمد:** اخي المشكلة مو بهذه البساطه وبعدين اني ما درّست سنة ثالثة، وبعدين اني ما اكدر اخالف القوانين.
– بالنسبة للقوانين متخافش، ابن عمي يخدم في الأمن الشعبي ومشّ راح يصير عليك شي.
– **اديب:** وجدت استاذ محمد ينظر اليّ وهو متحير بم يردّ فقد نفذت كل حيله، حينها بادرتُ للخروج من الموقف وقلت لهم، ماشي يا جماعه غدوه الصبح يصير خير.

بعد انصراف الجماعة ....

– **استاذ محمد:** كيف قلت لهم ذلك !.

ماذا سأفعل غداً، انا مستحيل ان اقوم بحل اسئلة الإمتحان.

– **اديب:** ومن قال لك انك ستحلّ لهم الاسئلة، غداً صباحاً اذهب الى زوارة وانا هنا اذا جاء احدهم سأقول له انك غير موجود، الم تر انهم ما كانوا ليرحلوا بأي شكل من الأشكال ما لم تعطهم وعداً بتحقيق ما ارادوا.

– **استاذ محمد:** هسّه اني منين اجنّي هذه المشكلة، مو اخاف باجر اذا شافوني يسمْعوني كلمة مو حلوه واني ما اكدر اتحمل.

– **اديب:** عندما سيأتون غداً ولا يجدونك فإنهم سيذهبون للبحث عن مدرّس آخر، وبمجرد انتهاء الإمتحان سينسون الأمر.

نوري وسلمان يدخلون:

– السلام عليكم..

– **الجميع:** وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

– **علاء:** شفت ابو عجيلة، يعني المشكلة منكم وبيكم.

– **مولود:** صدقني يا استاذ اننا لم نكن كذلك من قبل ولكن عندما جاءنا بعض ضعاف النفوس من المغتربين ، علمونا على الغش.

– **ابو عجيلة:** راهوا كلام مولود صحيح يا استاذ، وبعدين اكيد احنه المسبب الأول لكل هذه الاخطاء.

– **مولود:** توّه خلاص معادش في حل، وحتى اللي يبّي يدير حل يتعب ويخسر .
– **ابراهيم:** بس مدارس البـــنات اعتقــد افضل من مدارس الاولاد.
– **اديب:** وكيف ؟
– **ابراهيم:** يعني البنت الليبية تدرس وتحضّر واذا نجحــت فإنها تنجح بذراعها، مع وجود حالات الغش الا انه ليســت بالمستوى الذي اسمعه عنكم في مدارس الاولاد.
– **مولود:** البنت معندهاش ما تديره، من الحوش للمدرســة ومن المدرسة للحوش.
– **فرات:** يعني هذا اعتراف بالتقــصير من قبــــل الطالب الليبي.
– **علاء:** وماذا يمنع الطالب الليبي ان يدرس ساعة واحــدة باليوم.
– **مولود:** احنه مشغولين بالزرع والخدمه، وبيني وبينكم يا جماعة راهو الكرايه ممنهاش فايده، وبــعدين اللي يتخرج ميلاكيش تعيين وحتى لو تعين شنو يعطوه من مرتب، هذا عليش تلاكي الاولاد ميعدلوش على دروســهم، وبــعدين المهم هو الواسطة ، كلما كان معاك واسطة تحــصل تعيين حتى لو ما تفهامش حاجة.
– **سلمان:** بس هذه فرصة ما دام الدولة تتعاقد مع مدرسين ومهندســين ودكاتره، ليش ما تحــاولوا ان تحســنوا من

مستواكم، وبـــعدين شـــوف العالم وين صار ، تره المعرفة ســلاح، ليس الهدف منها ان تجمع المال فقــط، بـــل تتيح لك الاطلاع على العالم وتعرف كيف تسير الأمور وبالتالي ستعرف كيف تســيِّر امورك، يعني لا ســامح الله ومرّيتوا بظروف صعبة مثلنه ماذا كنتم ستفعلون؟

- **ابو عجيلة:** نموت من الجوع، اذا مرّينا بـــمثل ظروفكم.

- **فرات:** ان شاء الله ما تشوفون مكروه.

ومرّت ايام الإجازة، ورحنا نتوقع وصول اســتاذ محــمد، اجازته تنتهي في ٨/٣٠ وهذا يعني انه يجب ان يعود قبل هذا التاريخ.

في ليلة الخميس، وبينما نحن نائمون، كانت الســاعة الثالثة تقريباً عندما طرق استاذ محمد الباب.

– **د. علي**:(قريب استاذ محمد، طبيب يعمل في مستشفى الجميل العام) كان يزورنا بــعد خروجه من المستشــفى اوقات راحته، وكان يبيت في غرفة استاذ محمد.

بدأت تدبُ في البيت نوع من الحــركة معها اصوات، كنت مغمض العينين، إلا ان تلك الأصوات لفتت انتبــــاهي فاستيقظتُ وعيني لما تزل ترغب في التحاف جفونها، لكن نســيم تلك الليلة الصيفية الهادئة وهو ينقــل الى الأســماع صوت استاذ محمد، والذي يعني وصول اخبار الأهل، من كل ذلك لم اجد المجال للأستمرار بالنوم، نهضت مســرعا للترحيب به، عانقته وانا اشم فيه رائحــة العراق، رائحــة الكاظمية، وعبق الذكريات، وصوت ابي يأتيني عبر صوته من خلال ما دار بينهما من لقاء، وما حــوته تلك الرســالة المطولة التي حملها لي من والدي.

اعطاني استاذ محمد حقيبــة صغيرة، وجدتُ فيها ســجّادة للصلاة ومسبحة، وصورة للعائلة، والرســالة التي ضمنها لامية الطغرائي وهو يقول:–

فيم الإقامة بالزوراء لا سكني
بها ولا ناقتي فيها ولا جملي
ان العُلا حدثتني وهي صادقة
فيما تُحدّثُ ان العزّ في النقل

بدت ملامح استاذ محمد شاحبة، ربّما لأنه متعب من السفر. تركناه ينام، والصباح رباح كما يقولون.

– **د. علي**: اشوف عمي محمد مو على بعضه.

– **اديب**: انا ايضاً لاحظتُ ذلك، ان شاء الله ما كو شي.

– **د. علي**: عمي شلونها سفرتك ان شاء الله ارتاحيت، الاهل شلونهم، اتصلت بأهلي، شلونهم ؟

– **استاذ محمد**: كلهم زينين ويسلمون عليك ويبعثولك هذه الرسائل.

– **د. علي**: اشو اشوفك تعبان، ان شاء الله ما كو مكروه؟

– **استاذ محمد**: ليش اكو بالعراق شي يريح، الناس متعبة جداً والفقر يزداد سنة بعد اخرى والقائد الملهم يبني بالقصور ويقيم الولائم للضحك على معاناتهم ،انطلاقاً من ان الأب القائد يدعو أبناء الشعب للإفطار في قصورهم، وشوارع بغداد مليئة بالشحاذين ومرضى المستشفيات الذين أطلقوا الى الشوارع، لأنه لا علاج لهم في المستشفى !!!، بغداد العاصمة مدينة مليئة بالأوساخ ورائحة النفايات تملأ ازقة المناطق الشعبية، اشكال والوان من القهر والظروف الصعبة ممكن الواحد يشوف بالعراق، ومع كل هذه الالوان

القائمة، فالمرتزقة لا يزالون يصفقون لعظمته!!!.
كل من يعرفني يحسدني لأنني اعيش خارج العراق، تصوّر الى اين وصلت الأمور، الكهرباء تنقطع كثيرا، والماء اذا لم يكن شحيحاً فأنه غير صالح للشرب وقد اكدت ذلك لجنة بيّنت ان الماء في العراق لا يصلح حتى ان يستعمل لمواد البناء.. الأمراض كثيرة والعلاج قليل، وربك وحده بيده الحل، اصبح الناس هناك عاجزين عن فعل أي شيئ تجاه حجم المعاناة التي تكبر يوماً بعد يوم، وضعفهم الذي يكبر هو الآخر يوماً بعد يوم.
- يصل فرات معه ابراهيم وعلاء- الذين يسكن معهم-:
- الحمد لله على السلامة استاذ محمد.
- **استاذ محمد**: شكرا.
- **اديب**: تفضلوا يا جماعة، استريحوا.
- مساكم الله بالخير.
- الله بالخير.
- **فرات**: شلونها سفرتك استاذ محمد، شلونهم الأهل؟
- **استاذ محمد**: الحمد لله، لقد اتصلت باهلك عبر الهاتف، وتحدثت الى والدتك، التي تدعو لك بالموفقية وتقول لك انها بخير، وتريد منك ان تهتم بإمورك، كما ان أخاك الأكبر تحدث اليّ، واخبرته انني احمل لهم رسالة منك، وقال انه سيزور بغداد قريباً وسيمرّ عليّ لكي يأخذ الرسالة، كما انني اخبرتهم ان يهيئوا ما يريدون ارساله لك، لكن اخوك لم

بدأت، علماً انني أوصيت الأهل في البـــيت ان يتابـــعوا الموضوع عندما لا أكون موجوداً.

– **فرات:** العراق شلونه استاذ ؟

– **استاذ محمد:** ما اكول اكثر من (الله يساعد العراقيين على ما هم عليه)، كنتُ متوجها ذات يوم الى بــاب المعظم، وفي سيارات الكاظمية ركب معي شخص ملامحه غير بــعيدة عني ، انه الدكتور قيس لولا هذا التحول البادي عليه، إلا انه عرفني بسرعة وسلّم عليّ.

– اهلاً د. قيس، شلونك، شنو اخبارك.

– **د. قيس** : سمعت انك في ليبيا ؟

– **استاذ محمد:** نعم وانا الآن في اجازة.

– **د. قيس:** الله يوفقك، وشلونها ليبيا ؟

– **استاذ محـــمد:** ماشيه الأمور، وانت شنو اخبارك ان شاء الله زين، والجامعة شلونها بعدك اتداوم ؟

– **د. قـــيس:** يا جامعة الله يخليك، تركت الجامعة من مدة، وانا الان اعمل في تجارة العبي الرجالية.

– **استاذ محمد:** غريبة !!

– **د. قيس:** لا تستغرب، الجوع كلشي يسوي.

– **استاذ محمد:** شلون، سولفلي.

– **د. قيس:** من نوصل ان شاء الله.

– **استاذ محـــمد:** خليني اعزمك على اســتكان شـــاي في المقهى.

- **د. قيس:** ماشي.
- **استاذ محمد:** أي ابو ستار، احجيلي القصة بالكامل.
- **د. قيس:** كما تعلم فأنا ادرّس في جامعة الكوفة واسكن في بغداد، والراتب يا دوب يكفي مواصلات، وانا عندي عائلة زوجة وخمس اطفال، في يوم من الأيام لم اجد معي ما اجلبه لهم من فطور، لم اكن املك غير مبلغ بسيط، خرجت الصبح على اساس ان ازور صديق لي لأستلف منه، اتصلتُ به وواعدني في مقهى في الكاظمية، ذهبتُ وانا ناقم على الظروف الحقيرة التي امرّ بها، جاء صديقي وجلسنا في المقهى وبينما انا احدثه بما امرّ به من ظروف واذا برجل بالزيّ العربي (الدشداشة والعكال) كان يجلس وراءنا يسمع ما اقول، فاذا به يقوم من مكانه ويأتي الينا:
- السلام عليكم...
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.
- استاذ اذا تسمح لي فقد سمعت ما تحدثت به ودون ان اكون قاصدا التنصت عليكما، لكن حديثك شدني، يمكن تتخوفون من تطفلي بس اعلموا والله ما عندي غير الخير ان شاء الله.
- قال صديقي: تفضل حجي استريح.
- **الحاج:** يا استاذ اعرفك بنفسي، انا تاجر جملة في الشورجة، ابيع عبي رجالية واسمي ابو فهمي، وان شاء الله تعرفني اكثر من تزورني في المحل، انا اعرض عليك

المســـاعدة ، ولكي لا تفهمني غلط فأنا اعرض عليك العمل معي في تجارتي.

– **د. قيس**: بارك الله فيك يا حاج، بس.

– **الحاج**: من غير بس، انت زورني للمحل وان شـــاء الله نتفق، ولا تنسى يا دكتور تره العمل مو عيب.

– **د.قيس**: اعطاني الحاج عنوانه واستأذن للذهاب.

– **استاذ محمد**: وبعدين ؟

– **د. قيس**: والله ما اخفي عليك، صاحبـــي دايني كم فلس، وبقيت افكر بكلام الحجي، لم يكن الأمر ســـهلاً اول الأمر، كما ان صديقي شـــجعني للتعرف على ما وراء ذلك، وفعلاً وجدتني ذات يوم في الشورجة ابحث عن ابو فهمي......

– الله يساعدك حجي.

– **الحاج**: اهلاً بالدكتور تفضل..

– **د.قيس**: رحم الله والديك.

– **الحاج**: ان شاء الله فكرت بالموضوع.

– **د. قيس**: تقريبا، لكنني لا اعرف شيئا في عملك.

– **الحاج**: الشغلة بسيطة بس تحتاج الى مهارة.

– **د. قيس**: شلون ؟

– **الحاج**: انا اعمل في العبي الرجالية، وانت احد زبـــائني الذين اتعامل معهم، يعني راح انطيك بـــضاعة وانت تدور بيها على المحلات في الكاظمية في ســـوق (الاستربـــادي) وكل ما تبيع الكمية الي عندك تجيني نتحاسب، وانت بكيفك،

واني قاصد مساعدتك مو اكثر.

– **د. قيس**: والله ما ادري شكول، وشلون راح اشــتغل هذه الشغلة.

– **الحاج**: هي البداية صعبــة، وبــعدين راح تعتاد عليها، وخصوصا من تشوف النفع، انت جرب، ما تخسر شي.

– **استاذ محمد**: وماذا قلت له ؟

– **د. قيس**: والله يا ابو جعفر ما كان امامي ما افكر به بديلاً عن العمل، اذا كانت الدكتوراه راح تموتني مــن الجــوع فلازم، فكلت خلي اجرب اذا دبرتها فخير على خير، واذا ما دبرتها فأنا ما خسران شي، وهي محاولة، والله بديت مع (ابــو فهمي)، وكانت البــداية صعبــة فأنت تعرف انني امضيت عمري بالدراسة والحياة الجامعية، فترددت كثيرا في البداية، ولكن الظروف تحكم، وشــويه شــويه مشــت الأمور وانا الآن تاجر عبــي وأموري الحــمد لله احســن بهوايه.

– **استاذ محمد**: وماذا عن الجامعة ؟

– **د. قيس**: الجامعة اروحلها بين سطر وســطر ، واغيب كثيرا واذا حاسبــوني على الغياب، ما اديرلهم بــال، لأنه ماعادت تفرق عندي شغلة الجامعة ما دام ما جايبــة همها، وفي الأونة الاخيرة صرتُ لا اذهب الى الجامعــة إلا فــي الشهر مرةً، مو بدينه استاذ محمد، هاي انت مثلاً رجل كبير السن متقاعد اخترت الغربة لتحافظ على نفســك واهلك من

الحاجة، وانا لو كنت املك القـدرة على السـفر لفعلت لكن سفر اسـاتذة الجامعة ممنوع كما تعلم وانا لا املك قـدرة التحايل والتزوير من اجل السفر كما انني لا اسـتطيع ترك العائلة لوحدها ، أولادي لا يزالون صغاراً، وفي وقـتنا هذا ما عاد أحد يبالي بغيره والناس معذوره ، الظروف صعبة.

– **استاذ محمد:** الحـمد لله على كل حـال، المهم ان تكون مرتاحا.

– **د. قيس:** والله ماكو راحة في هذه الدنيا.

– **استاذ محمد:** مثل هاي المواقف هوايه بالعراق وهذا هو حال العراقيين اليوم.

– **اديب:** الله ينتقم من اللي كان السبب.

– **فرات:** أي والله ...

– **د. علي:** الله يستر، اذا بقه الحال هالشكل فالأمور تسوء اكثر.

– **استاذ محمد:** وليش هي الحكومة مهتمة.

– **فرات:** سنة ١٩٩٣ اتذكر عندما التقى صدام برؤسـاء الجامعات،قال لهم: شكو بيهه اذا استاذ الجامعة يشيل طاسة اسمنت وره الدوام.

– **اديب:** اتذكر ذلك ، كنت حينها في المرحـلة الثالثة في الكلية، وبعدين شتتوقع يكول !!!.

يمعود مو زين احنه عايشين سالمين لحد الآن.

– **د. علي:** أي والله ولو شفتوا اللي اني شـفته عندما كنت

طبيباً مقيماً وطلبوا مني ذات ليلة ان اذهب مع سيارة القصر لعلاج بعض المساجين، والله شي يخوّف، وانا ما صدّقــت انني سأخرج من ذلك المكان ســلامات، حـــتى انهم عندما خرجت ، طلبوا مني بشيء من التخويف عدم التحدّث بـــما رأيت، وها انا ذا اليوم ولأول مرّة ابـــوح بـــــذلك امامكم، ولبشـــاعة وضع المســـاجين لا اســــتطيع ان اصف لكم.

– **استاذ محمد**: الله يستر.

هكذا كانت تتنامى ساعات ارتماء التعب العراقي في احضان القدر الذي ما كان لينظر يوماً صوب العراق نظرة ارتياح ، وكأن الوجع العراقي لا بدّ ان يستمر كجزء من مقايضته على البقاء في ارض احتضنت عشرات الأنبياء والأولياء بعدما لاقوا المشقة والتعب في ارض الكرب والفتن، واخذ هذا الموروث القهري يستمر مع العراقيين حتى في الخارج حيث الإغتراب واختلاف الأجواء والناس والطباع واللهجات واللغات، الا ان نبرة القهر العراقي باقية كما هي لا تكاد تستحيل فرحاً وان عاشته في الغربة لأنها ولدت ورضعت حليبا مراً من صدر الحياة المتعبة في العراق، كانت كل همومنا تتنقل معنا منذ خرجنا من العراق وحتى لحظات الإستقرار النسبي في بلاد الغربة، وكأن شاعر العراق الغريب الجواهري قد جمع تلك الاحاسيس بقوله:

انا عندي من الاسى جبل

يتمشى معي وينتقل

لم يكن هاجس الأهل والوطن يفارق وجودنا هناك، الرسائل والمكالمات الهاتفية كانت تضفي على جمرة المعاناة العراقية اتقاداً وهي تحرق العراقيين عاماً بعد عام، ويوماً بعد يوم، بطنين البطولات الفارغة والكلمات الجوفاء والجوع الذي لا يرحم، والفقر الذي صار مضرباً للامثال في ارض الغنى والمال.. استاذ محمد تراوده هموم ومعاناة

اسرته التي تركها وحدها، وابنه الذي اتعبه عندما اختار ان يتصرف وحـــــده في غياب ابــــيه ويوافق مجموعة من المزوّرين ليغيّروا قبوله من كلية الزراعة الى كلية الهندسة مقابـــل ٢٠٠ الف دينار ، والدته لا تعلم بـــــالتفاصيل لأنه اخبـــرها ان الحاسبـــة المركزية فيها خطأ في التنســــيب وسيعيدون تصحيح الخطا وانه يستحـــق الهندســـة بـــدل الزراعة.. كان استاذ محمد فرحاً قبل ســـفره وهو يســـمع اخبار ابنه الذي سيدرس في كلية الهندسة لأنه يقول عنه انه لا يدرس لكنه ذكي، ولا شك انه اجاد في الإمتحانات.

عموماً كانت فرحة استاذ محمد بإبنه الكبير لا توصف ، أخذ يشتري ما يلزم من ملابس وغيرها ليقـــدّمها لابـــنه عندما يعود الى العراق في اجازته.. عاد استاذ محمد من الســـفر وهو لا يعلم بعد بما جرى.....

الأخبار تنقل احداث مسلسل القهر الذي يمارســــه النظام مع امريكا ضد الناس المغلوبـــــين على امرهم، وكلما اخذت وتيرة الحياة في العراق نمطاً معيناً وان كان سيئاً ، راحـــت خطابات البطل تهزّ الدولة الكبـــرى وترعجها، فتردّ عليه بتهديد الناس وتدمير بـــعض الأبـــنية كنوع من التأديب أو كشيء من مراحل تدمير البلاد.

– **فرات**: لا تكول دنيتنه ولا تكول قسمتنه احنا ال ما عرفنا نعيش موش الدنيا ذلتنه....

– **اديب**: لقد نشأنا على الخوف والحزن او اجبرنا على هذه

النشـــأة، فصار الحـــزن صفة طبـــيعية لا تتعارض مع الفرح ان صادفنا ذات يوم، حـــــتى انني اذكر اذا ما ضحكنا يوماً من اعماقنا ارى شفاه ابـــي تقـــرأ المعوذات، وامي تصلي على النبي وتنهانا عن الإســـتمرار خشـــية ان يلحقنا مكروه ضريبة هذه الضحكات البريئة.

– **استاذ محمد:** حزين ، مسكين جيلكم، لم تروا من الحـــياة غير وجهها السيء وجانبها الشاق المتعب.

– **فرات:** هذا قدرنا، سيئاً كان او جيداً، لم نختره ، بل وجدنا انفسنا تحت سياطه الموجعة.

– **اديب:** لعلنا هنا في ليبيا نتنفس بعض النسيم العبق ونعيش حـــالة الهدوء والأمان التي طالما افتقـــدتها في العراق منذ ولدت وحـــتى ســـــاعة خروجي ، لدرجة انني اعدُّ تاريخ خروجي من العراق في شهر ١١/١٩٩٧ هو تاريخ ميلادي الحقيقي ، فقد وجدتُ في ليبـــيا ما كنتُ ابـــكيه في العراق، فالمدرّس او الموظف اصبح في وضع لا يحســـد عليه بـــل وصار مثلاً للفقر والجوع في بلاد العلم والتراث الكبير !!!! بينما هنا وجدنا الإحـــترام من قبـــل الناس ووجدنا المكانة الإجتماعية التي كنا نســـــــمع عنها للمدرّس او المهندس، او الاستاذ، الذي لم ير القائد الضرورة في العراق حرجاً من حمله طاسة الإسمنت بعد الدوام !!!

– **ناجح:** هل تعلمون يا جماعة انني لأكثر من عام هنا فـــي ليبيا كنت لا ازال اعيش هاجس الخوف الذي اصبـــح جزءا

من كياني في العراق، فقد كنت اخشى الحــديث مع الناس لأننا كنا نخاف ان نتحدث الى أي شخص بأي حديث خشية ان يفسّر الكلام بأنه ضد الحكومة !، كنت احسب للكلام الف حساب، ولكنني بمرور الوقت هنا وبعد ان تحسست الأمان والهدوء والإستقرار بدأت اخرج من تلك الدوّامة المخيفة.

– **فرات**: كثيرون ضاعوا بسبب كلمة لا يقصدون منها ما فسرته خبرة الدولة وحكمتها ، مات العديد، ولعل ما قــاله نزار قباني مفيد هنا :–

في بلادي ممكن ان يكتب المرء ضد الله لا ضد الحكومة.

– **استاذ محمد**: هنا انت مطالب بـــاداء عملك وطالما انت في هذا الاتجاه فلا باس عليك، ونحـــن هنا اغراب والمثل يقول(يا غريب كون اديب)، وعلينا ان نحترم الفرصة التي قدمتها لنا الحــكومة الليبــية اياً كانت ابــعادها، المهم انها فرصة انقذت الكثيرين منّا.

– **علاء**: لا تنس يا اســـــتاذ اننا نمثل عمالة رخيصة الثمن وفي نفس الوقت كفاءة جيدة ، لذا هُم يقدّروننا.

– **اســتاذ محـــمد**: انا لا ارى ذلك، واذا كنت ترى ذلك فما يجبرك على البقاء ،لم لا تذهب الى بلد اخر.

– **علاء**: لا احد يعطيني الفرصة، ولا انا اقدر على صناعة مثل هذه الفرصة.

– **استاذ محمد**: اذن انت تعيش فرصة لا افضل منها لحـــد الان.

- **علاء:** طبعا.....
- **استاذ محمد:** اذن لا داعي لهذه التبريرات.
- **فرات:** هناك من يقتنص الفرصة للوصول الى اوربا.
- **اديب:** الأمر لا يخلو من خطورة.
- **علاء:** نعم ولكنها تستحق المغامرة، أبن عمي وصل الى بريطانيا من الاردن بواسطة جماعة مهرّبين، دفع مبلغ ٧٠٠٠ دولار، وكتب لي قبل فترة رسالة تفصيلية عن الرحلة وكيف وصل.
- **استاذ محمد:** واذا وصل، شلون يتصرف هناك؟
- **علاء:** بس يوصل تنحل المشاكل كلها.. هناك يسلّم نفسه الى الشرطة وحين يسألونه ينكر انه يعرف اسم المهرب ويختلق له قصة مقنعة على ان يرتبها بشكل جيد لأنهم يستجوبونه أكثر من مرّة واذا حصل اختلاف في القصص التي يرويها قد لا يحصل على الموافقة في اللجوء ويبقى في الكمب.
- **ناجح:** انها فكرة جيدة، يمكن من خلالها الوصول الى اوربا، وهناك يمكن ان نجد الإستقرار الحقيقي، الى متى نبقى من غير استقرار، هنا كل سنة تظهر اشاعة بأنهم سوف ينهون عقودنا ... والى ان يطلع الخبر مو صحيح واحدنا يحتار شيسوي اذا نهوله عقده.
- **اديب:** ولكن ليس كل من فكر وسلك هذا الدرب وصل، وان وصل ربما لم يوفق، وربما انها مسألة حظوظ.

– **علاء**: هي بالتأكيد كذلك، انا شـــخصياً اعدّ العدّة وانتظر الفرصة المناسبـــة لخوض هذه التجربـــة ، لأنني لا افكّر بالعودة الى العراق ابداً ما دام سيادته هناك !

– **ناجح**: هناك طريق من المغرب، هل سمعت به ؟

– **علاء**: نعم ، ان شاء الله عندما احصل على الإقـــامة هذا العام سأقدّم على السفارة المغربـــية للحـــصول على الفيزة ومن المغرب سأتوجه الى (سبتة ومليلة) ومنها اتســـلل الى اسبانيا واسلّم نفسي للأمم المتحدة.

– **اديب**: وبعدين ؟

– **علاء**: الأمم المتحدة تتبنّى الموضوع ويتم ترحـــيلي الى أي بلد اوربي، هذا ما فعله ابو سالم مصلّح التلفزيونات هو وعائلته بعدما ســـاعده المغربـــي الذي كان يعمل معه في الورشة، حـــيث عمل له دعوة لزيارة المغرب ، ومن هناك اتم الرحلة الى اسبـــانيا، وهو الآن في المانيا مع عائلته منذ شهرين تقريبا.

– **د. علي**: السلام عليكم

– وعليكم السلام.

– **اديب**: تعال دكتور استريح، هذا خوش موضوع.

– **د. علي**: خيرا ان شاء الله.

– **اديب**: اذا عندك نيّة تروح الى اوربا فاســـمع ما يقـــوله الجماعة.

– **فرات**: كم تكلف هذه العملية ؟

– **علاء:** ليس اكثر من الحـــصول على الفيزة الى المغرب واجرة الوصول الى هناك، يعني تقريبا ليس اكثر من ٣٠٠ دولار، المهم ان تحصل على الإقــامة الليبــية، وان تكون نافذة لمدة لا تقــل عن ٦ اشـــهر لأن هذا الشـــرط مهم في الحصول على الفيزة المغربية.
– **د. علي:** الوصول الى اوربا يعني عدم التفكير بـــالعودة الى العراق ما دامت الأمور كما هي، وربـــما يطول الأمر.
– **ناجح:** وهذا ما نريده نحـــن، هل يعجبــــك الرجوع الى العراق وهو في مثل ما هو عليه الان.. يمكن بعد مئة ســـنة ما تصير للعراق جاره ما دام صدام موجود وحـــتى لو راح صدام شـــيرجع الأمور طبـــيعية تره الخراب اللي ســـوّوه البعثيين بالعراق يرادله سنين طويلة حـــتى يتصلح هذا اذا كان الناس بعدهم على ذبح الاخلاق العراقية القديمة الرائعة لأننا هنا نسمع عن اشياء عجيبة وغريبة يسوّها العراقـــيين ببناتهم.
– **اديب:** والله عندك حق، وبعدين ماكو امامنا فرص احسن حتى نختار.
– **فرات:** هل يعني هذا انك مقتنع بالفكرة.
– **اديب:** مقتنع بفكرة الوصول الى اوربا، اما مسألة اللجوء فلا ازال اراها صعبة لحد الآن.
– **علاء:** وهل هناك طرق اخرى للوصول غيـــر اللجـــوء
– **اديب:** مثلا عن طريق الدراسة.

– **علاء**: صعبة وما يقبلون بالعراقيين على الأغلب، فمثلاً ابو سالم الذي كنّا نتحدث عنه قبل قليل، حصل على قبــول دراســي هو وزوجته في رومانيا على اســاس الهرب الى المانيا من هناك، الا انهم اعيدو الى الاردن بــعد وصولهم لمجرّد انهم عراقيين.

– **د. علي**: السبب منّا نحــن ، سابقــاً كانت الأمور عادية تحصل على قبول دراسي وتسافر، ولكن بعد ان امســكوا بــعدد من العراقــيين يقــومون بــاللجوء الى المانيا من اراضيهم، اخذوا يتشددون في التعامل معهم، ويعيدون كل عراقي قادم اليهم وان كانت اجراءاته سليمة.

– **فرات**: يمكن تتحسن الأمور في العراق وما نحتاج لمثل هذه الطرق.

– **علاء**: هذا احتمال بعيد جدا، واذا بقينا ننتظر تحقيق هذا المستحــيل فإننا سنخســر من اعمارنا الكثير، ولن نعرف الإستقرار، وبعدين اليس من حقنا ان نعيش كباقــي الناس، اعمارنا الآن تتجاوز الثلاثين ونحن ننتظر املاً عقيماً بعودة العراق الى ما كان عليه من الأمن والراحة والإستقرار... وبــعدين يا جماعة هذه خطة امريكية، وصدام مو اكثر من موظف ينفذ اوامر اسياده، واحنه اللي ندفع الثمن صدقوني.

– **د. علي**: انت على حق، نحن فقط من يدفع الثمن.

– **فرات**: ولكن هذا ليس تبريرا لنسيان الوطن.

– تاجح: ومن قال اننا اذا عشنا في اوربا ســوف ننســى الوطن، سنبقى عراقيين وندافع عن قــضيتنا ونحــاول ان نرتقي باهلنا وبانفسنا الى مستوى افضل.

- **اديب:** انا لا اوافق الراي القائل بـــأن الوطن هو الأرض، انا باعتقادي ان الوطن هو الناس الذين نعيش معهم اكثر مما هو الارض.

- **علاء:** انا معك في هذا التفسير، وقد حدثنا استاذ محـــمد عن الناس في العراق وكيف اختلفت الموازيـــن وتغيــرت الأمور.

- **فرات:** نعم ولكن هذا بسبب الظروف التي يعيشونها، فلا تتعجلوا الحكم على الناس، اذا زال نظام صدام، ســيعود الناس الى ما كانوا عليه من خصال حميدة غير موجودة في غير العراقي.

- **ناجح:** من منّا لا يتمنى ذلك ولكن قل لي متى، بـــعد ان تنقــضي اعمارنا.. انا لا ارى ان سقــوط صدام ســيترك الأمور كما هي لتعود الى الأحسن، بل ان رحيل الشر يترك الكوارث وراءه، ان حـــصل هذا فمعناه اننا سنحـــتاج الى عشرات اخرى من الســنين كي يعود المجتمع الى ما كان عليه، وهذا يعني اننا لن نصل الى ذلك اليوم ابدا..

ما دامت الأمور بهذا الشكل، فمن الأحســن ان نتلاحـــك ارواحنه وكل واحد يشوف دربه، مو هذا استاذ حمزة ضيع عمره وره القضية العربية والمجتمع العربي اشحصّل غير الوضع البائس اللي هو بيه.

- **اديب:** بس هو مقتنع بوضعه، ويحترم افكاره.

.... في شهر رمضان ....

– اديب: الله كم كنت اعيش لحظات من الأمان وانا في هذا الشهر على الرغم من حضوره في تلك الأجواء العراقـية البائسة في تلك الفترة المظلمة .. رمضان يمثل بالنسبـة لي عباءة ستر وسكينة تلفني لتنتشلني من كل ذلك الخوف الذي ظل يرافقني حتى خرجت من ارض البلاء!.....

– **فرات**: اجواء هذا الشهر الفضيل رائعة ، فهو شـهر الله وافضل شهور العام ، فكيف لا يكون عظيما بكل ما فيه.

– **اديب**: ولكن مع الأسف فأن جهل وانانية وجشع الإنسان جعلت من هذه النعمة ثقلاً كبيراً على كثير من الناس الفقراء ممن لا يملكون قوت يومهم ، يأتي شهر النعمة ليمارس من خلاله شـرذمة من الناس الجاهلة لغة الضغط على كاهل الناس برفع اسعار المواد الغذائية والخضر والفاكهة وما ان ينتهي حـتى يوشـك اكثرهم على التذمّر والضجر من هذا السلوك البشري المتحيّون.

– **فرات**: يقول احد الشيوخ عندما زار الغرب :
(وجدت الاسلام ولم اجد المسلمين).

– **د.علي**: اخي .. الناس في اوربا لديهم انظمة يعملون بها ، اما نحن فقد رفضنا العمل بالاخلاق العظيمة التي جاء بـها الاسلام ، لقد شاهدت ذات يوم في التلفزيون وقبل عيد رأس السنة تقـريرا عن لندن يتناول العيد وكيف ان تجار بـيع الهدايا والورود في لندن يبيعون بضاعتهم بسعر الكلفة ، ولا

ازال اتذكر جيدا تعليق مقدّم البرنامج وهو يقول(لكي يتمكن كل شخص من شـــراء هدية لمن يحـــب).. عندنا تســتغل المناسبات الجميلة مثل العيد لرفع اسعار البـضائع لكي لا يفرح المسلم بالعيد الا وهو مهموم بالمصاريف، فيمرّ علينا شهر رمضان والعيد وكأنها روتين لابدّ من تقبّله مهما كانت الضريبة.

– اديب: كلامك صحيح.

– سلمان: اليس ذلك التاجر مسلما؟

– فرات: ويزيد كان مسلما عندما قتل الحسين عليه السلام.

– سلمان: يعني .. اقـصد انه من المفروض ان يكون لدى كل واحد منّا حس انساني وطني.

– د. علي: لو كنّا كذلك لصرنا كما اراد الله لنا (خيـر امـة اخرجت للناس).

– **اديب:** مشكلتنا ياجماعة ان تغييرا كبيرا حصل في الفهم الحقيقي للإسلام عندما رُسمت ملامح الاسـلام السياسـي الجديد فحُرّفت بـذلك الكثير من تلك الاخلاق العظيمة التي ارسـاها هذا الدين العظيم... صار بـالإمكان ان تكذب وتصلي.. صار من الممكن ان تشـرب الخمر وتصلي، وتاريخنا السيء مليء بمثل هذه القصص السـيئة.. صار بالاماكن ان تعمل المرأة راقصة في الملهى بـعد نهار من الصوم....

– **فرات:** اتركوا الموضوع يا جماعة ودعونا نتهيأ للذهاب

الى بيت جارنا مبروك، فقد دعانا للافطار عنده هذا اليوم.
– **مبروك**: (مدرس مع استاذ محـــمد في المدرســـة): اهلا بالأساتذة تفضلوا، زارتنا البركة.
– **استاذ محمد**: الله يبارك فيك.
– **مبروك**: شني حالكم ياجماعة، ان شاء الله لا باس.
– **فرات**: الحمد لله بخير.
– **مبروك**: شني حالك استاذ محمد، وشني حـــال الذرّ معاك في المدرسة.
– **استاذ محمد**: ماشية الامور ان شاء الله.
– **مبروك**: تبّوا تتوضوا يا اساتذة، راهو كريب يأذن.
– **اديب**: اسمح لي ان استخدم الحمّام.
– **مبروك**: تفضل يا استاذ.
هيا يا جماعة تفضلوا اشربوا الحـــليب والباســـطي، لكي نصلي الجماعة.
استاذ محمد تصلي انت بنا جماعة ،فأنت اكبرنا!!!
– **استاذ محمد**: لا، انت صلّ بنا.
– **اديب**: هيا ياجماعة، هيا يا مبروك تقدّم انت.
بـــعد الصلاة... جاء مبـــروك بـــمائدة الافطار المكونة من(الشوربـــة) وهي تتوســـط انواع الطعام الأخرى وهي عبارة عن شوربة حـــارة جدا اذ انهم يكثرون من الفلفل في الأكل، والشوربـــة مكونة من اللحـــم ونوع من الحبـــوب. وهناك الملفوف، والعصبان والطاجين والطعمية والسلطة

والخبز ، والمائدة الليبية تتميز بوجود اكلات رئيســية مثل (الكسكسي) وهو البرغل مع اللحم والبطاطا والحمص، او (البكبكة) وهي مرقة المكرونة باللحم والفلفل، او(البازين) وهي عجينة من الشعير وسط وعاء به مرق وقطع من اللحم حول العجينة.

– **مبروك**: ما رأيكم يا جماعة بالأكل الليبي ؟

– **فرات**: لذيذ.

– **مبروك**: استاذ اديب اراك لا تأكل جيدا ؟

– **اديب**: في الحقيقة ان الأكل الحــار يؤذي معدتي وانا لا احتمله.

– **مبروك**: لماذا لم تخبرني لكي اوصيهم بان يعملوا الأكل بدون حار.

– **اديب**: بارك الله فيك يا مبروك، لاداعي لهذا التعب يكفي مبادرتك الحلوة بدعوتنا.

– **مبروك**: ولو يا استاذ انتوا ضيوفونا، وتفضلوا أي حاجة تبّوها احنا مستعدين.

– **الجميع**: بارك الله فيك.

– **مبروك**: باهي حدثّونا عن رمضان عندكم يا استاذ محمد.

– **اســتاذ محــــمد**: رمضان في العراق، آه لو تعلم كم هو جميل، وكم اشعر الآن بالوحدة بعدما كنت اجلس مع عائلتي على مائدة الإفطار، يجمعنا الخوف والجوع ونحن نرقــب مدفع الإفطار، ان لرمضان اجواء خاصة وقت الحــصار

ووقت الجوع والهلع والارهاب البعثي، فبالاضافة الى قلة الحيلة وندرة الرزق، هناك ارهاب ورعب يحـــيطنا من كل مكان، كان ولدي يخرج مع اصدقـــائه، فاذا تأخّر الى الليل يصفّر وجهي ويدبُّ في نفسي الخوف والقلق المستمر حتى يطرق الباب، يعني تقريبا لم نكن نشعر بنكهة ذلك الشـــهر الفضيل ومع ذلك كنا نراه منقذا ومنقـــذا مما نحـــن فيه من الانزعاج المستمر بسبب قسوة الحياة، على العموم ، لكي لا يأخذنا الحديث بـــعيدا عن مائدة رمضان العراقـــية فإننا يا مبـــروك نتفنن في صنع الأكلات، فقـــد لاحـــظت هنا انكم تتميزون بـــأكلات رئيســـية مثل البـــازين والكسكســــي والمكرونة، وعندنا التمن والمرق من الوجبات الرئيســـية، واعني الرز.

– **مبروك**: ها.. نحن لا نستخدمه كثيرا.

– **اســـتاذ محـــمد**: وعندنا الدولمة وهي مثل هذا الملفوف، وعندنا الشوربة، ولكن لا نســـتعمل الحـــار مثلكم، وهناك الكبّة، وتشريب اللحـــم او الدجاج وغيرها وغيرها، يعني المائدة العراقية منوعة اكثر مما هي عندكم.

– **مبروك**: يعني ان شـــاء الله عندما تأتي بـــالعائلة الى هنا سنتذوق الطعام العراقي...

– **استاذ محمد**: والله ما ادري يمكن أي ويمكن لا، فاحتمال ان انهي عقدي واعود الى العراق هذا العام.

– **مبروك**: لا يارجل ليش؟

– **استاذ محمد:** لقد تعبت يا مبروك، فانا رجل كبير الســن وصحتي لا تحتمل، كما ان عندي اولاد في المدرسة وابنتي الكبيرة ستتخرج من الجامعة العام القادم، فليس من الســهل ان اجلبهم كلهم الى هنا.

– **مبروك:** جيبهم يقروا هنا، في مدارس وجامعات.

– **استاذ محمد:** ولكن الى متى يمكن ان ابقى لكي افعل كل هذا.

– **مبروك:** ابقى الى الأبــد شــني عندك غادي في العراق، الظروف مش كويسة ولما تتعدل الأمور تكد ترجع.

– **استاذ محمد:** في الحقيقة ان الأهل في العراق طلبوا مني ان ادرس الموضوع وهم متذمرون من بقائنا بــعيدين عن بعضنا، لكن المشكلة انني لا اجد في نفســي القــدرة على التحمل اكثر، كما ان وجود العائلة معي هنا ، يعني بالنسبة لي اعباء كبيرة ، وبيتنا هناك لمن اتركه، وابني الذي يدرس الآن في الجامعة وابني الصغير في المدرســة، ان الأمر لا يخلو من متاعب انا لا اقوى على تحملها لذا تراني متحيّرا في الأمر، كما انهم هناك قد لايقدّرون ما نعانيه نحــن هنا ويتصوّرون الأمر سهلًا بسيطاً.

– **مبروك:** تفضلوا الشاهي.

– **اديب:** تسلم، بارك الله فيك.

– **استاذ محمد:** يا اخي ان شاء الله دايمه.

– **مبــروك:** وما هي المعاناة التي يمكنك ان تعيشــها هنا يا

استاذ؟
– **استاذ محمد**: ربما انت وبحكم كونك لم تتغرب لا يمكنك ان تقدر مانحن فيه او مانعانيه وان حدثتك عنها فقد تبدو لك امورا يســهل التعامل معها، وانها لا تستحــق ان نســميها معاناة.
– **مبــروك**: والله لا ادري ما اقـــول، غير انني ارجو ان تعتبروا انفسكم بين اهلكم وفي بلادكم، واي شيء تحتاجونه فنحن مستعدون ولا تتصوروا انكم غرباء، صحيح اننا نطلق عليكم مصطلح اجانب ولكن هذا المصطلح نطلقه على كل شــخص غير ليبــي، ثم اننا احببـــناكم وخصوصا انتم العراقيون، فقد علمتمونا الكثير ، كما انكم تعملون بإخلاص لتعليم ابنائنا في المدراس والمعاهد والجامعات.
– **اديب**: بارك الله فيك يا مبروك وشكرا على هذا الكلام.
– **استاذ محمد**: ان شـــاء الله دايمه، ورمضان كريم عليكم، ويارب ان شاء الله العام القادم على جبــل عرفة.. تصبــح على خير.
– **مبروك**: مازال الحال يا جماعة خليكم مكعمزين.
– **استاذ محمد**: مشكور يا مبروك.
– **مبروك**: ياسيدي اهلاً بيكم وانستونا والبيت بيتكم تفضلوا متى ما تبّوا، وليلتكم سعيدة.

- **استاذ محمد:** اديب.
- **اديب:** نعم استاذ.
- **استاذ محمد:** لقــد وصلتني رســالة من البــيت وهم لا يزالون يلحون عليَّ في امر قدومهم الى هنا..

ارجو منك ان تكتب اليهم، فهم يقــدّرونك، ارجو ان توضّح لهم ما نعانيه لأنهم، أولاً، فكرة الســفر قــد صرفتهم عن الإستماع لي او تصديقي، عندما اخبرهم انني غير مرتاح، كما انني اعلم ان احداً ما حدّثهم بشكل يثير حماسهم للقــدوم الى هنا.

- **اديب:** كما تحب استاذ محمد، سأوضح لهم ما تريد.

.....الباب يطرق......

- **اديب:** اهلاً دكتور علي، تفضل.
- **د. علي:** شلونكم وشلونه عمي محمد.

سلام عليكم، الله يساعدك عمّي.

- **استاذ محمد:** اهلاً عليّ، تفضل.. عليّ اريد اروح وياك للمستشفى اعمل فحوصات.
- **د. علي:** خيرا ان شاء الله، هل تشكو من شيء ؟
- **استاذ محمد:** اشعر بالتعب الشديد ، وفي نفس الوقــت لا اتمكن من النوم رغم حاجتي اليه ، ان غفوت فإنني استيقظ بسرعة.
- **د. علي:** هل هناك ما يقلقك ؟ هل الاهل في العراق بخير؟

هل وصلتك اخبار من احدهم ؟
– **استاذ محمد:** وصلتني رسالة منهم، يريدون المجيء الى هنا، وقد اتصلت بهم واخبرتهم انني سأنهي عقدي هذا العام واعود، لكنهم يريدون مني البقاء وان افكر بإستصحابـــهم الى هنا.
– **د. علي:** يبدو ان هذا مايقلقك، لم لا تحاول ان تشرح لهم.
– **استاذ محمد:** فعلت ، كما طلبـــت من اديب ان يكتب لهم، فلعلهم لا يصدقون ما اقول ويعتبرونني لا اريد ذلك رغبـــة مني.
– **د. علي:** لا، عمّي المســألة صعبــــة، وخصوصا انت ماتكدر، صحتك ماتساعد.
– **استاذ محمد:** غير يفهمون هذا الكلام!!.
– **د. علي:** هذه بسيطة لاتكدر صفو بالك، صحتك اهم، وان شاء الله غداً صباحاً اذهب الى الدوام، ان احببـــت ان تأتي معي لاعمل لك التحاليل والفحوصات اللازمة، وان تطلب الأمر تدخل طبيب مختص فإنه موجود معنا في المستشفى.
– **استاذ محمد:** غدا صباحـــاً لن اتمكن لأنه عندي دروس، عندما انهي عملي سآتي اليك.
– **د. علي:** سأكون بانتظارك.
– **د. علي:** اديب اريدك لحظة على انفراد.
– **اديب:** حاضر.
– **د. علي:** عمّي حالته النفسية غير جيدة وانا اخشى عليه.

– **اديب**: انا لاحظتُ ذلك وسألته عمّا يمكن ان يكون قد كدر صفو باله، الا انه لم يقل شيئا.

– **د. علي**: اعتقد ان الحاح اهله عليه بالمجيء قد اتعب نفسيته، عموماً سيأتي الى المستشفى غدا وسأخبر الطبيب هناك ليصرف له حبوب مهدئة تريحه بعض الشيء وتمكنه من النوم.

– **اديب**: حسنا تفعل... كما ان نهاية العام الدراسي قريبة وعند سفره سيرتاح كثيرا،انه متعلق بأبنائه واهله كثيرا.

– **د. علي**: لا اظنه يستطيع الإستمرار الى نهاية العام، عمي وانا اعرفه، فهو حسّاس جداً وقلق كثيرا، هذا طبعه مذ كنا في العراق، واذا اقتضى الأمر فربّما نستحصل له موافقة لسفر الى العراق ونتولّى نحن إجراءات الإنهاء.

– **اديب**: احتمال يتحسن على الحبوب وبمرور الوقت قد يستقر حاله، ربما هي ازمة طارئة نتيجة ضغط كبير يعيشه هذه الأيام، ونحن معه سنساعده على تجاوز الازمة ان شاء الله.

– **د. علي**: انا قلت له ان يأتي للسكن معي في المستشفى وسيكون تحت عنايتي ان طرأ طارىء لا سامح الله.

– **اديب**: ان شاء الله بسيطة، ولا تحتاج الى كل هذه الإجراءات.

– **د. علي**: ان شاء الله.

...... ومرّ أكثر من شهر ......

– **أستاذ محـــمد**: سأقـــدّم طلب إنهاء هذا العام واعود الى العراق.

– **اديب**: والله استاذ محمد انت اعرف بوضعك، بالنسبة لي سأسافر الى سوريا هذا الصيف حيث اقضي بعض الوقـــت مع ابن عمّي محمود، فقد كتب لي رسالة وعلمت منها انه هناك منذ مدّة وكتبـــتُ له اخبـــرته انني ربّما ازوره في الصيف وقد رحّب كثيرا، كما انني منذ مجيئي الى ليبـــيا لم اغادرها في أي اجازة، وهذه فرصة طيبـــــة لتغيير الجو، لأنني في الحقيقة لا افكر بالعودة الى العراق ابدا هذه الفترة.

– **استاذ محمد**: ليس من صالحكم العودة الى العراق، نحن كبار السن لا احد يطلبنا في شـــيء، امّا انتم فالأمر مختلف و(حرامات لا تضيعون مستقبلكم).

– **اديب**: في اقرب فرصة لي سأذهب الى طرابلس لأقـــدم طلب الى السفارة السورية، فقد علمت ان الموافقة قـــد تأخذ شـــهرين لذا عليّ ان اقـــدّم خلال هذه الفترة لكي اتهيأ، فإن حصلت الموافقة، قدّمت طلباً للحصول على إجازة للسفر.

– **استاذ محمد**: خوش فرصة وعندما تذهب اخبـــرني كي اذهب معك الى طرابلس، فأنا بحاجة الى بعض التغيير.

– **اديب**: وهل اخبرت الأهل انك ستعود نهائيا هذا العام ؟

– **استاذ محمد**: نعم كتبت لهم واتصلت بهم قبل ايام .

– **اديب**: وماذا كان ردّهم ؟

– **استاذ محمد:** بعد ان علموا بالتعب الذي اصابني، قـــالوا ي افعل ما تراه مناسباً ونحن لا نريد إلا راحتك.
– **اديب:** هذا ممتاز، والحمد لله على كل حال.
يعني ان قرار الإنهاء لا رجعة عنه، الا تفكر بالإجازة مثل كل مرّة؟
– **استاذ محمد:** لا، لقد عزمتُ على الانهاء.
– **اديب:** اذن ستتركنا .
– **اســـتاذ محـــمد:** هذا حـــال الدنيا، وانت فكّر بـــالزواج والإستقرار وان اردت مساعدتي فأنا حاضر لأن اقدّم لك ما من شأنه ان ييسر لك الأمر.
– **اديب:** اشكرك جدا، ان مابـــيننا يفوق مساحـــة الشـــكر والإمتنان فقد جمعتنا علاقة رائعة فيها من النقـــاء وحســـن النيّة الشيء الكثير، وهذا ما لن انساه ابدا.
– **استاذ محـــمد:** ســـيكون عليٌ هنا معك، ومعك مجموعة طيبة من العراقيين، سلمان وآدم وفرات وبلال.
– **اديب:** فعلاً انهم كما تقول..
علمت ان سلمان وسيد رائد وسيد حسين يريدون ان يرسلوا عوائلهم الى العراق، ان حصل ذلك فسنسكن مع بـــعض ان شاء الله.
– **استاذ محـــمد:** هذا جيد لأنه ليس من مصلحـــتك البقـــاء وحدك في البيت وخصوصاً ان استاذ قاسم ايضاً ماشي هذا العام، ويبقـــى اســـتاذ طه، واكيد انه ســـيجد له مكانا مع

جما عنه.
لو ان فرات يسكن معك...
– **اديب**: انت تعلم ان فرات الآن يعمل في (زوارة) والسكن هناك افضل له من السكن هنا، لأن ذلك يكلفه اجور الذهاب والإياب وهو في غنى عن هذه المصاريف.
– **استاذ محمد**: صحيح.
اتمنى ان ييسـر الله، وتنتهي اجراءات الإنهاء سـريعا، المشكلة الأخرى ان الحجز سيصبح صعباً مع اقتراب موعد الإجازة، فكل المغترب ين ما بين انهاء وما بين اجازة، وانا لم يعد عندي من الصبـر الكثير لتحـمل هذا التأخير.
– **اديب**: لماذا لا تقدّم على حجز مبدئي في مكتب الخطوط.
– **استاذ محمد**: لا قيمة لهذا الحجز مالم يكن مؤكدا، وانا لا استطيع ان اؤكد الحجز قبل ان اتمّ كل الاجراءات.
– **اديب**: التأخير مومشكلة، اسبـوع او اثنين، لأنك خلاص ماشي نهائي، بس المشـكلة خاف اني ما احـصل حـجز وتنتهي مدّة الإجازة، وما اكدر اسـافر، وانا الآن بحـاجة ماسّة للسفر، فقد مللت، وربـما ان وجدت الأمور جيدة في سوريا فسأبقى هناك، وسأكلف فرات بمتابـعة الإجراءات ان انا بعثت له من سوريا اخبره بأن يقدّم لي طلب الإنهاء.
– **استاذ محمد**: دع كل الأمور امامك وتصرّف بـما تراه مناسباً لك ولا تجازف.. احسبها جيدا.

- **اديب**: اكيد، ســأذهب اول الأمر الى ســوريا سائحــا، وسأرى ابن عمتي هناك، وامضي معه بــعض الوقــت ثم احكم على الأمور من خلاله ،فهو منذ ســنتين في ســوريا وســأتمكن من اخذ فكرة جيدة عن الوضع هناك وبــعدها اقرر.

مرّت الأيام سريعاً واقترب موعد سفر استاذ محـــمد ، كان ذلك في ٢٤/٨/ ٢٠٠٠، وقــرّر المبـــــيت في زوارة لكي يخرج مع الفجر متوجهاً الى المطار ، كان الدكتور علــــيّ معه ليرافقه الى المطار ، بينما بقي اديب لأن موعد ســـفره الى سوريا هو يوم ٢٥/٨/٢٠٠٠.

– **اديب**: رافقـــني فرات وعماد الى المطار (عماد: مهندس كهرباء في المعهد المتوسط في الجميل)، كلفت فرات بإتمام كل الترتيبات اللازمة ان رأيت عدم العودة الى ليبـــيا، كما انني اودعت كل اغراض البيت عند (مبـــروك) صاحـــب الدار ، وبقي له في ذمتي ايجار ثلاثة اشهر، واخبرته انني لو لم اعد فأن فرات هو المسؤول بعدي، وهو من ســيعطيه الايجارات، وطلبت من مبروك ان يسلم فرات الحـــاجيات التي لي، وخولت فرات التصرف بها .

كانت هذه المرّة الأولى التي اركب فيها الطائرة، وبــــعد اجراءات التأكد من الجوازات ووزن الحقــائب، طلب الينا التوجه الى الداخل حــــيث التهيؤ لصعود الطائرة، ودّعْتُ فرات وعماد، وتوكلت على الله....

احساس جميل مخيف وغريب في نفس الوقـــت وانا اركب الطائرة للمرّة الاولى، كان الطاقم ليبيا، والقبــطان ايضا كان ليبيا..... لكن في الحقيقة كانت رحـــلة ممتازة ، وقـــد علمت ان اصعب ما في الرحـــلة هو لحـــظات الاقـــــلاع ولحظات الهبوط،

كان القبطان موفقــاً جداً في الاقــلاع والهبــوط وما كنت لأصدّق انني داخل طائرة وانها تحــلّق بـــــي على ارتفاع شاهق، وما ان استقر مسير الطائرة حتى اخذت المضيفات بتوزيع الطعام علينا.. كانت وجبة منوّعة لذيذة.. استغرقت الرحلة مدة ثلاث ساعات وربع تقريباً، اخبرونا بــعدها اننا نحــلّق فوق الأجواء الســورية واننا سنهبــط على ارض المطار السوري بعد قــليل.. شــيئا فشــيئا اخذت الطائرة تقــــترب من الارض، توزع المضيفون والمضيفات على طول الطائرة وطلبــوا من الجميع التزام المقــاعد وشــدّ الأحزمة، وبعد ان مرّوا على الجميع وتأكدوا من ان الأمور على ما يرام، توجهوا الى اماكنهم، وبدأت عملية الهبــوط، وما ان لامســـــت عجلات الطائرة ارض المطار واخذت تسير عليها حتى اخذ الركاب بالتصفيق لنجاح الرحلة.

في مطار دمشق الدولي كان للعراقيين مكان خاص يمرون منه، وهو مكتب الأمن في المطار.. طلبوا مني ان اعطيهم الموافقة التي حصلت عليها من السفارة السورية في ليبــيا، وبعد قليل زودوني بكتاب معنون الى مكتب الأمن في ساحة البعث في العاصمة دمشق.

خرجت الى صالة الإنتظار اترقب وصول محــمود فقــد اخبرته بالفاكس عن يوم قدومي وموعد الرحلة، وســاعة الوصول.. في صالة الانتظار احسست بــجو جديد يختلف عن ذلك الجو الذي عشته لأكثر من سنتين في ليبيا، حــتى

انني لم استوعب في اللحظات الاولى ان ثلاث ساعات نقلتني من مكان الى اخر. . . تأخر قدوم محمود وخشيت انه لم يستلم الفاكس او ان شيئا ما اخرّه، فرأيت ان اصرّف مبلغ ١٠٠ دولار بالعملة السورية وكان وقتها يعادل ٥٢٠٠ ليرة تقريباً. ورأيت ان ابقى الى وقت متأخر وبعدها اتصرّف، وبينما ان اترقب باب الدخول وقد مرّ العديد من الناس وليس من بينهم محمود وطال بي الوقت حتى مللت، لاح لي محمود وهو يدخل مسرعاً، نهضت وهو يتقدم مسرعاً نحوي وقد رآني وتعانقنا طويلاً بعد طول غياب فصل بيننا وكثرة مواجع تفرقنا عليها، واحزان ترتسم في عيون كل منّا، وفرح مختبىء ممتلىء خجلاً يرتسم على وجوهنا، كان مع محمود اشخاص رأيتهم جاءوا معه، احدهم اخذ يلتقط لنا الصور ونحن في غمرة اللقاء لا نشعر بما حولنا.. انطلقنا من ليبيا صباحا ووصلنا ظهرا وما بين اجراءات الأمن والتفتيش وما الى ذلك وبين تأخير محمود كنّا قد دخلنا الساعة الخامسة او السادسة عصراً، توجهنا الى حيث يسكن محمود وجماعته، هناك ارتحت قليلاً، وتناولت العشاء، وطلبت من محمود ان يأخذني لزيارة السيدة زينب عليها السلام.

كانت لحظات رائعة وانا اهم بالدخول على حضرة السيدة زينب عليها السلام ، فقد مضى عليّ وقت طويل منذ تركت العراق حيث العتبات المقدسة.. عند ضريحها اخذت

دموعي تنهمر وبكيت.. بكيت حتى شعرت انني اغتسل من داخلي بهذه الدموع.. صليت وجلست هناك بعض الوقت ثم غادرنا حيث اخذ الليل يقـترب، وعلينا العودة الى منطقـة (نهر عيشة) حيث يسكن محمود.
يشارك محمود السكن مجموعة من العراقيين عرفت اثنين منهم فهم يقربون لمحـمود ويعرفهم في العراق وكانوا مع محمود في المطار، اما البقية فقد تعرف اليهم في سـوريا، كان مع محمود شـاب مسـكين ضعيف النظر يعمل على (بسـطة) تعود لمحـمود، عرفت فيما بـعد ان هذا الشاب قد تسلل من الاردن الى سوريا سراً.
بعد مرور اسبوع على وجودي معهم، وبـينما كنت لا ازال في البيت مع حسن– شاب عراقي يسكن مع محمود – وهو في سوريا منذ عام وينتظر ان يسهل له اخوه في كندا طريق الوصول، وكان اخوه يبعث له بالمال بـين الحـين والآخر وبينما نحن في البيت وحوالي الساعة العاشرة او الحـادية عشرة صباحاً طرقت الباب، ذهب حسن لفتح البـاب واذا بمجموعة مدنيين مسلحين ومعهم ذلك الشـاب المسـكين الضعيف النظر مكتوف اليدين.
لم نفهم الموضوع.. طلبوا منّا جوازاتنا.. وبعد التأكد منها اعادوها الينا، ثم هرع احدهم لضرب ذلك البائس على بطنه وهو يستصرخهم، وقـد دلّهم على دولاب صغير، كسـره احـدهم ليخرج منه جوازاً ممزقـاً يعود لذلك المتعوس،

ارادوا ان يفتشوا الشقة لكنهم اكتفوا بذلك وخرجوا.
سألهم حسن من تكونون ؟ فقالوا:
– نحن من يتتبع المخربين امثال هذا (العرص)، نحـــن من مديرية الأمن .
– **حسن:** واين ستأخذونه ؟
– سنحقق معه.
كان الأمر مرعباً بالنسبـــة لي وما ان عاد محـــمود حـــتى اخبرته انني لن ابقـــى معهم في الشقـــة، لقـــد خفتُ كثيرا وتوقعتُ ان يعودوا الينا ليأخذوننا الى التحقـــيق وانا لاذنب لي، ولا اعرف عن الأمر شيئا ،وقد افقـــد عملي في ليبـــيا بمجرّد التاخير وتجاوز مدّة الإجازة.
حاول محمود تهدئتي:
– الامر لا يعنيك واننا سنكلف الحاج بدر وهو عراقي يقيم منذ زمن طويل هنا، وله علاقـــات واســـعة.. على العموم ستبيت الليلة عند غسان صديقي.
ذهبت للمبيت تلك الليلة عند غسان، وفي الصباح رأيت ان اذهب الى الخطوط الجوية لأقدّم موعد السفر، بعد ان مللت من وجودي في تلك الأجواء السيئة.. وبـــعد تلك الحـــادثة المزعجة ولقرب موعد سفري فقد خطط محمود لسفرة الى منطقة (صيدنايا) وكانت رحلة ممتعة.
في ليلة السفر عدت للمبـــيت مع محـــمود في شقـــته، وفي الصباح توجه محمود معي الى المطار وكان الحاج حـــازم

وابو قاسم وهما من اقرباء محمود معنا في التوديع.
في المطار وبعد ان اقترب موعد التوجه الى الداخل حيث الصعود الى الطائرة، ودّعت الجماعة وانا كلي شوق للعودة الى ليبيا بعد ان رأيت ما رأيت في سوريا، فأوضاع العراقيين في سوريا لا تسر ابدا، والمشكلة ان اكثر العراقيين هناك امّا ينتظر طريقا للهرب الى اوربا، وامّا هو من الكسبة، او من الهاربين من نظام صدام سرا فلا وثائق لديه او جواز، ويحتمون هناك بأحد الأحزاب الدينية أو السياسية المعارضة لنظام البعث العراقي، اجواء مشحونة بالخوف والقلق.
حالات التشنج على اشدّها.. كل ذلك جعلني اقدّر النعمة العظيمة التي كنت عليها في ليبيا، فقد كنت اعيش نعيما يحسدني عليه كثيرون في سوريا اوفي الاردن ...
ركبت الطائرة وانا اتلهف للعودة الى وطني الثاني الذي اكرمني ووجدت فيه الأمان والأطمئنان والرزق، البلد الذي اعطاني مالم اجده في وطني، والمكان الذي اعتقدت انني سأنتقل الى افضل منه خلال رحلتي، وإذا بي اكتشف العكس.
وصلت مطار طرابلس العالمي الساعة التاسعة ليلا، استأجرت سيارة تاكسي الى كراج سيارات زوارة، ومن هناك تمكنت من اللحاق بآخر سيارة ستنطلق الى زوارة، ووصلت الى زوارة الساعة الحادية عشرة تقريبا ، توجهت

الى بيت فرات...
– **فرات:** الحمد لله على سلامتك، (الك وحشــه والله)، رغم انك لم تغب اكثر من اسبوعين.
– **اديب:** سأحدثك عن كل شيء فأنا الآن متعب.
– **فرات:** سنخرج لنتعشى فلا يوجد لدينا الأن ما نأكله.
– **اديب:** ماشي الحال.
– **فرات:** تبـــــدو لي متغيرا نوعا ما، واظنك لم ترتح في سفرتك، اليس كذلك؟
– **اديب:** يافرات، لقد اكتشــفت انني كنت في نعيم، وها انذا عائد لاتمسك به.

عندما تصدأ المبادىء وتتعلب المشاعر، ويتوقـف قـطار العمر لينزل الضمير عند محطة الماضي البـعيد، ويضيع بين تلك الذكريات، وسط الأزهار والحشـائش الخضراء، وبين اوراق الكتب القديمة حياً في اجسـاد الجيل الماضي المتعب الذي ارهقته السنوات المتعاقبة ، فأضحى الباقـون منه أشخاصاً في ارذل العمر يمررون اوقاتهم في المقـهى بين (إسـتكان الشـاي) وصوت ناظم الغزالي، وام كلثوم، ويأتي جيل جديد يحمل بطاقـات الزمن الحـالي حـيث لا تتصافح الأكف في اغلب الأحيان بهدف الإشتياق او التقدير المنزّه، بل من اجل المصالح.

عندما يصبح ذلك عنوان الزمن القادم فثمة أشياء تتغير.

تتغير ملامح الأشخاص.. تتغير التوجهات والتحـركات.. يتغير عطر الزهور ولون الحشائش.. وشـكل البسـاتين وصوت فيروز.. تتساقط قطرات المطر مالحـة شاحبـة اللون غير منتظمة الشـكل.. وتغلق الكثير من النوافذ التي يطل منها الفقراء الى السماء.. ويصبح السـلام حـلماً في زمن التقنيات الحديثة، واغنية قديمة بالأبيض والأسـود لا يرغبها المستمعون الراضخون تحت ضغط اغنيات عرض الازياء والاجسام، والاصوات المجردة من الشـاعرية او التي تصدح بشيء معلب منها، إلا ماندر، او يصبح السلام من ضمن عبوات الرصاص التي تقتل الآف الأبـرياء، او يصبح السلام أملاً ورديا مطرزا بـالأمان في القـصص

والقصائد، وفي اصدوات الأدباء ومهرجانات الشعر والأدب والنتاجات التي لا تنشر إلا في الصفحات التالية للصفحة الرئيسية التي تحمل اخبار الإنفجارات والإغتيالات والإحتلال والموت والمؤامرات، حتى اذا ما انتهى القارىء من هذه الصفحة، امتلأ جوفه قيحاً وترك الجريدة ليذهب الى الحمّام...

هكذا يصبح الإنسان بعيدا جداً عن نفسه ، في زمان يراد فيه للعالم ان يصبح قرية كونية تقترب فيه المسافات بين الناس وتزيد الهوّة اتساعاً عند البعض مع انفسهم ، ويفرض الواقع الاليم لكثيرين حالة من الخوف حتى من النفس، خشية ان تتحدث لنسمات الهواء بما يشغلها، كي لا يخدعها الهواء حين يمتزج مع انفاس الشيطان ،فيمتلىء صدره حقدا ، فتختنق بيده كل الأزهار ويسحق النمل تحت قدميه.

– **اديب**: حدثني عن اخبار الجماعة يافرات.

– **فرات**: استاذ طه عاد من سفره وهو الآن في بيتك، فقد طلب مني ان يسكن الى ان ترجع، وان كان لك رأي اخر فتحدث معه، وسلمان وسيد رائد وسيد حسين قد بعثوا بعوائلهم الى العراق وهم الآن يبحثون عن سكن لهم.

– **اديب**: حسنا، سأذهب الى بيتي في رقدالين لأسلّم على مبروك، انني افكر بالسكن مع الجماعة، سلمان ورائد وحسين ان وافقوا.

– **فرات**: كما تحب.

..... في مستشفى الجميل حيث يعمل د. علي ....
– **اديب:** السلام عليكم يا صاحبي العزيز.
– **د. علي:** اهلاً.. اديب حمدا لله على السلامة، متى عدت؟
– **اديب:** البارحة ليلاً وقد بــتُّ عند فرات، واليوم كنت في رقدالين، رتبت اغراضي.
– **د. علي:** الف حمد وشكر لله على السلامة.
– **اديب:** الله يسلمك.
– **د. علي:** حدثني عن سفرتك.
– **اديب:** لا بأس بها فقد غيَّرت الجو الذي كنت اعيشه وانا الآن بحمد الله في وضع معنوي رائع جدا، جئت متحمســاً، لقد وجدت حياة العراقيين في سوريا غير مرضية بالنسبــة لي.. يمعود احنه هنا برحمه كبيرة، وصحيح عندما قالوا ان المرء لايقدّر النعمة التي هو فيها حتى يفقدها.
– **د. علي:** لكنك لم تفقدها بفضل الله.
– **اديب:** وهذه نعمة من الله اكتشــفتها خلال هذه الســفرة القصيرة، والحمد لله على كل حال.
ماهي اخبارك يا دكتور، وهل من اخبار عن استاذ محمد؟
– **د. علي:** اخباري والحمد لله جيدة .. وليس من جديد، بين الدوام والسكن، حتى انني ما عدت اذهب الى رقــدالين منذ سافرتَ.. اما اخبار عمي محمد فقد وصل الى العراق، والله يسهل عليه.
وانت ماذا تخطط لهذه السنة؟

– **اديب:** ان شـــاء الله ســـا غيّر البـــيت الذي انا فيه الان، وسأزور سلمان والجماعة، فقد علمت انهم ارسلوا عوائلهم الى العراق، وهم يبحثون عن بيت للسكن فأن وفقنا فسأسكن معهم.

– **د. علي:** هذه فكرة جيدة، وماذا عن فرات ؟

– **اديب:** في زوارة.. يعمل الآن في مكتب للحاسبات مقابل كلية الآداب في زوارة، وهو مرتاح في عمله، ولكـــن مـــع الأسف لم تسمح الفرصة لحصوله على عقد عمل.. يبـــدو انها اصبحت مستحيلة، على ما فهمت من بعض الليبين لأن التعاقد من الداخل لم يعد مسموحاً به.

– **د. علي:** الله يوفقه، المشكلة ان العمل الخاص مع الليبـــين صعب نوعا ما.

– **اديب:** هو يشكو من ذلك، فصاحب العمل السابق لم يعطه اولاً بأول، وعند تراكم المبلغ يبحـــث عن عذر لكي يقـــلل المبلغ، او لا يعطيه، كما فعل خالد، الذي عمل عنده مؤخرا في رقدالين، المشكلة انه كان يحتفظ بـــجوازه عنده، ولولا تدخلي في الأمر عن طريق صديـــق لـــي فـــي المعهـــد، والمحاولات لإسترجاع الجواز الذي استعمله كورقة ضغط على فرات لكي يتنازل عن حقه عنده..

– **د. علي:** الله غالب كما يقولون...

– **اديب:** مسكين حوالي ٤٠٠ دينار راحت عليه.

– **د. علي:** المهم حصّل جوازه.

– **اديب**: في كل الأحوال كان سيحـــصل على جوازه، لأنه ليس من مصلحة خالد الإحتفاظ بالجواز ولو اردنا لطالبناه بالجواز عبر مركز الشـــرطة، ولكن تدخل جماعة يعرفهم د.سامي في المعهد العالي، جعل المسألة تنتهي عند خسران المبلغ فقط وهذه هي غاية خالد الأساسية وقد حصل عليها.

– **د. علي**: قل له ان يتحـــوط في عمله الجديد، او أي عمل آخر.

– **اديب**: (فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين).

انا استأذن.

– **د. علي**: والى اين ستذهب ؟

– **اديب**: سأذهب لزيارة بيت ابـــو علي(آدم) ومن ثم ازور سلمان وسيد رائد وسيد حسين لأرى ما سيفعلون.

– **د. علي**: سلامي لهم جميعا وسازورهم في اقرب وقـــت، وبالمناسبة، هذه الرســـالة تركها ســـلمان عندي.. انها من والدك.

– **اديب**: صار لها اكثر من شهر.. سأجيبـــه عليها الليلة ان شاء الله.

...... الى ابي وامي ....

– **اديب**: كيف ابدأ رسالتي اليكم.

امامي ثمانية وعشرون حرفاً، وبيدي قلم، وعيني على السطور ترقب ما سيفرغه الفكر من عبارات وكلمات مستمدة نبضها من القلب، وبينما انا اتأمل تلك الكيفية التي ستتمكن بها هذه المنظومة من صياغة جملة او عبارة ابدأ بها رسالتي تحسستُ النفس تلامس شغاف القلب، وتداعب المشاعر فيه لينشد العقل ترنيمة الشوق وتتسارع قطرات الحبر لتفرّ من القلم متراقصة على اوتار الصفحة، راسمة صورة الروح الواحدة في اجسادنا، فوجدتني ابدأ مخاطبا إيّاكم...

والدتي......

والدي......

اعوام مرّت وانا بعيد عنكم، وانتم بعيدون عني، ورغم كل تلك لم نفترق، ليست احجية هذه ولا هي من قبيل التلاعب بالالفاظ من اجل اضفاء لون او مسحة مجاملة على العبارة، ابداً لا هذا ولا ذاك لأن عدم الفراق رغم طول المسافات الفاصلة بيننا له اسبابه، ففي ذاكرتي دوماً هناك دمعتان وصوت واحد لا يزال يهمس في اذني (ان الذي فرض عليك القرآن لرادّك الى معاد) وشيء من تراب العراق به عبق زكي من ضريح الأئمة، وماضٍ مليئ بالذكريات مختبيء في قسمات وجهيكما، وحزن تراكمت عليه السنوات

فإستحال شيخاً هرما ارهق كاهل الزمان الذي ركنه ليصبح بمرور الوقت ضوءا مباركاً يملأ ســواد الشــعر.. لم تزل عيني تحتفظ بدموعكما ساعة الوداع ولا زلت اردد(امي يا ام الوفه... ياطيب من الجنّة...) تجاوزت عامي الثلاثيــن ولازلت بحاجة الى يديك المباركتين تفتحــان نافذة نفســي لتصل اليها نسمات حنانك وتبــث فيها الأمان وتهدىء من روعها بعدما اضطربت تحت تأثير إيقاع الزمن الصاخب.. لم ازل احتاج حكمة ابي لترشدني الى جادة الطريق بــعدما تشعبت بي طرق الغربة.

كنت اسمع ان(الغريب اعمى ولو كان بصيرا) واصبحــت غريباً حتى اوضحت لي الأيام مغزى هذه العبــارة، فكنتُ بين الحين والأخر اغسل عيني بــدموعكما التي افرزها الم الفراق، فيرتد اليها بصرها لأرى ما حــولي بــوضوح.. وكنت اتنفس نسمات العراق عبر رسائلكم فتمتلىء نفســي رغبة في مقــاومة اليأس والإحبــاط.. كم تمنيتُ وجودي بقربكم انهل من فيض الحنان والأمان اللذين حرمتُ منهما في سنوات الغربة التي تستنزف اعمارنا وتتركنا بعد مرور الوقت حائرين تائهين لانعرف اين السبيل، وبــينما انا امرّ بهذا الحال واذا بسيل من وهج الإنتماء المخبىء في اعماق النفس يتدفق ساعات الضيق ليطفح على المحــيّا غاســلاً ترسبات الأرق والضجر تاركاً مكانها املاً عذبــا وربــيعا اخضرا اســـمه الأهل والوطن، فتورق كل تلك الذكريات

القديمة وتعود الروح فيها فتبدو حـــدثاً حـــصل منذ وقــت قريب، وتشخص ذكراكم صوب العين فتبرق دمعة وتوشك ان تضيء ممرات الخد الذي مرّت عليه ايادي الغربـــــــة الثقيلة، فاذا بالعين تطلب من دمعها شيئا من الصبـــر كي لا نُحرم شرف البكاء بين يديكم المباركتين حين اعود اليكم.

– **سلمان:** هلو اديب شلونك، الحمد لله على السلامة، اليوم سمعت انك جاي، شلونها سفرتك؟

– **اديب:** الحمد لله على كل حال، كانت سفرة جيدة لا بـــأس بها.. تفضل.

– **سلمان:** هل ستبقى في هذا البيت ام لديك الرغبة بالسكن معنا في البيت الجديد، لقد نوينا ان نسكن سوية انا وســـيد رائد وسيد حسين، وانت ان كنت تريد.

– **اديب:** والله ياريت، وهل وجدتم بيتاً مناسباً.

– **سلمان:** ان شاء الله، وسنذهب لرؤيته اليوم عصرا، وانا انتظر سيد حسين سيأتي من زوارة ومن ثم نمرُّ على ســـيد رائد.

– **اديب:** ارجو ان ييسر الله ذلك.. الدوام قد بـــدأ ويجب ان نرتب امورنا سريعا.

– **سلمان:** كل الأمور مرتبة، ولا ينقصنا سوى الإتفاق على البيت، ومن ثم ننقل اغراضنا وبالمناسبة فأن عوائلنا تركت معدات ثلاثة بيوت كاملة.

– **آدم:** (مهندس ميكانيك فـــي المعهـــد العالـــي لإعـــداد

المدربين): اهلا استاذ اديب، الحـــمد لله على الســلامة .. سفرة سعيدة.
- **اديب:** اشكرك ابو علي، شلونكم وشلون الأهل.
- **آدم:** الحمد لله ، بخير ، تفضل.
- **اديب:** السلام عليكم.
- **ســيد رائد:** وعليكم الســلام، اغاتي، الحـــمد لله على السلامة.
- **اديب:** الله يسلمك، شلونك سيد، شلون الاحوال.
- **سيد رائد:** بخير والحمد لله، نســأل عنك، والجماعة في المعهد يسألون عنك.
- **اديب:** نسأل عنكم العافية.

– **أديب**: – عام دراســـي جديد يبـــدأ، حـــياة يومية تتكرر، واجواء فيها من الإستقرار الشيء الكثير، الهدوء الذي يملأ مفاصل الحياة الليبية يغري محبي الطبيعة والسلام بالتشبث قدر الإمكان بتلك الأجواء التي لم نتمتع ولا بشيء بســـيط منها في عراق المرحلة الممتلئة ببشاعة وقبح الحـــياة، التي كانت إمّا ميتة، او تعيش على بـــعض الأنفاس المنهكة في صدور العراقيين الممتلئة حسرات وآهات، والممتلئة بغبار الجو المختنق والملىء بالاتربة صيفاً وبرائحـــة المجاري شتاء.. كانت أيّاما عصيبة تلك التي عشناها.. ربما في ايّام الدراسة لم نكن نشعر بحجم تلك المعاناة التي اخذت تشـــغل كل مفردات حـــياتنا بـــعد التخرج والإنخراط في الحـــياة العملية، او هكذا تسمّى..

....في ثانوية النصر، وعند اســـتاذ حـــــمزة كان هناك مجموعة من الأساتذة يتحدثون....

العراقيون في حيرة خارج الوطن، وفي حيرة داخله......

الله وحده يعرف حجم تلك المعاناة التي عشناها ونعيشـــها، فأين المفرّ، والى أي بلاد نتوجه بعدما عجزنا ان نبـــعد ذلك الارق عن العراق، وذلك الهم الجاثم على الصدور، الم تكن امريكا تدعي بقـــاء التمثال ! وهي نفســـها اليوم من يمطر العراقيين بين الحين والحين بقنابـــل الطائرات بحـــجة انها تخيف النظام، خبـــروني يا جماعة انتم كلكم من المتعلمين

والمثقفين، اخبـــروني... هل يخفى على أمريكا ان تحـــدد مكان صدام واعوانه لتضريـــــــهم، ام انها تريد موت العراقيين.

– **اديب:** كلامك صحيح استاذ حمزة، بس الحل شنو، عمرنا راح يخلص وذوله باقين.. ومعاناتنا باقية.

– **فرات:** لا تكول دنيته ولا تكول قسمته، احــنا الما عرفنا نعيش موش الدنيا ذلتنه.

– **اديب:** ليس دائما يا فرات.

– **استاذ حمزة:** اخي لقد بذلنا جهدنا وحاولنا، ربما نحن قد مررنا بمحاولات كثيرة قبلكم، وربــما انكم لم تتمكنوا من فعل شيء، المسألة اكبر من كونها علاقة الشعب بــالنظام، انها اكبر من ذلك بكثير، والكبار الذين عاشوا تلك المرحلة، على علم بحــجم المخطط المراد للعراق، ولهذا الشــــعب المبتلى بهذه المؤامرات.

اخي، امريكا مع صدّام الى ان يكمل المهمة التي جاءوا بــه من اجلها، وبعد ذلك سينتهي، وسترون.

– **سلمان:** ومتى ذلك يا استاذ حمزة ؟

– **استاذ حمزة:** المسألة تحتاج وقت، وامريكا لا تبالي مهما طال، ومهما كانت الخسائر، المهم انها ستحقق ما تريد.

– **اديب:** ومالذي تريده ؟

– **استاذ حمزة:** العراق طبعا.

– **سيد رائد:** امريكا تريد النفط.

– **استاذ حمزة:** ومن قال ان النفط بـعيد عن امريكا، اخي المسألة اكبر من النفط.
– **اديب:** النفط تبرير وحجة، والله لم نكسب من هذا النفط إلا المتاعب والمشاكل والحروب.
– **فرات:** وسيبقى النفط ضريبة نتحملها نحن دون ان ننتفع منه.
– **د. علي:** هذه دول اوربـا وغيرها، ليس فيها نفط وهي تعيش افضل منّا الف مرّة.
– **استاذ حمزة:** اخي، المشكلة ليست في النفط، المشكلة في وجود اناس نزيهين يعملون في البـلاد، ويقـومون على ادارته، ولهذا تسـمع ان الدولة الفلانية وهي ليسـت دولة نفطية، وارداتها اكثر من واردات دولة عربـية نفطية، وغيرها، وغيرها.
– **د. علي:** والله لقد تورّمت قلوبنا، وتعبنا دون فائدة.
– **اديب:** دعونا نتمشّى في الخارج، فالهواء طيـب، انـي اشعر بالإختناق.
– **فرات:** انا ذاهب معك.
– **د. علي:** تصبح على خير استاذ حمزة، انا ايضا سـأذهب مع الجماعة.
– **استاذ حـمزة:** ساوصلكم الى بداية الشارع، لم يبق متسع من الوقت، وسأزوركم في وقت قريب في النهار.
هل ستأتي غدا يا سلمان ؟

- **سلمان**: كلا، غدا ليس لدي عمل.

..... في اليوم التالي، في المعهد......

- **اديب**: استاذ نصر، ماذا يعني هذا اليوم عندكم؟ لقد وجدت اطفالا يدورون على البيوت .. يطرقون الأبواب.. يطلبون المال والحلوى.

- **نصر**: (رجل كبير السن، ويعمل مدربا في المعهد): انه يوم عاشورا.. في الحقيقة نحن لا ندري بالضبط، لكن اجدادنا وآبائنا حدثونا انه في مثل هذا اليوم نجى نبي الله يونس من بطن الحوت، وهناك رواية اخرى ان النبي نوح نجى بالسفينة في هذا اليوم، وروايات اخرى، ولا ندري الصحيح منها، ولكن على العموم فأن هذا اليوم هو يوم فرح.. الاطفال يدورون على البيوت لأخذ العيدية، والنساء في البيوت يطبخن البقوليات..

وانتم هل تفعلون ذلك؟

- **اديب**: يوم عاشوراء عندنا يوم حزين، لأن الحدث مفجع ففي مثل هذا اليوم استشهد سيد شباب اهل الجنة الحسين عليه السلام، حفيد رسول الأمة وخاتم النبيين عليه وعلى آله افضل الصلاة والسلام، بمؤامرة من قبل يزيد بن معاوية بعد تسلمه الخلافة.

- **نصر**: لا ادري .. هذا ما نقله لنا الأباء والاجداد.. وما سرنا عليه.. ولا اعرف اكثر من ذلك.

كانت ايّام العام ٢٠٠١ في رقدالين اياما جميلة، خفيفة من خلال التعاون والتوافق بين اديب وسلمان وسيد حسين وسيد رائد بعد ان اجتمعوا في بيت واحد.. جمعتهم متطلبات الحياة وهموم الاغتراب والحنين الى الاهل والطموح والرغبة في تحقيق شيء ما يعوّض تلك السنوات.

كان دكتور علي يترقب انتهاء دوامه ليأتي الى البيت مع الجماعة حيث يتناسى بعض متاعبه ويستأنس بإجازته، كذلك فرات كان يأتي بين الحين والآخر..

في احدى ليالي رمضان المبارك..

– **سيد حسين:** اهلا فرات تفضل.. شلونك وشلون اخبارك

– **فرات:** لقد تعبت يا جماعة ولا اظن انني سأحصل على عقد عمل، والعمل الخاص متعب..

في الحقيقة لم اعد احتمل كما ان غربتي هنا لحد الآن لم تجد نفعا يستحق الذكر.

– **اديب:** خلي نفطر هسه ونرتاح، وبعدين نطلع نتمشى انى وياك ونسولف..

..... في طرقات رقدالين ليلاً ....

- **اديب**: تبدو لي منزعجا من امر ما ، اليس كذلك ؟

- **فرات**: في الحقيقـة اجد نفسـي اضيّع الوقـت هنا دون جدوى، ما احصل عليه انفقه .. لقد مللت كل شيء.

- **اديب**: هذا الكلام نابع عن انزعاج ، لا تنس ان العودة الى العراق هي عودة الى المجهول المظلم، ولست ببـعيد عن الاخبار وما يحدث هناك.

- **فرات**: انا اعلم كل ذلك ولكن وجودي هنا محسوب عليّ وربما ابقى في العراق فترة واخرج بعدها الى الاردن.

- **اديب**: يا فرات احسبها بشكل جيد ولا تتسرع ارجوك.

- **فرات** : ان شاء الله لن يكون هناك تسـرع وانت تعرفني جيدا.

.... بعد ايام العيد... وفي المعهد.....

- استاذ اديب هناك شخص عراقي يسأل عنك.

- **اديب:** اهلا فرات، كيف حالك ؟.

- **فرات:** الحمد لله.. ذهبت الى البيت ولم اجد احدا.

- **اديب:** الجماعة في الدوام، انتظرني قليلاً، او ان شئت خذ المفتاح واسبقني الى البيت.

- **فرات:** لا، سانتظرك ان كنت لن تتأخر كثيرا.

- **اديب:** ما زال امامي ساعة تقريبا.

- **فرات:** سأذهب لرؤية بلال في المعهد واعود اليك.

- **اديب:** على راحتك، وان كان بلال موجودا في المعهد فاطلب منه ان يأتي معك الى البيت، فأنا مشتاق له جدا، فهو يأتي من صبراتة الى الدوام ويعود بسرعة ولا نلتقي الا بشكل سريع..

- **فرات:** لم اجد بلال في المعهد، قالوا انه غادر قبل قليل، ووجدت سيد حسين هناك ولكنه سيتأخر في الدوام.

في الطريق الى البيت..........
– اديب: فرات شلونك، اشوفك مو على بـــعضك.. بـــعدك تعبان. ؟
– فرات: في الحقيقة جئت ابلغك انني ســـأصفّي متعلّقـــاتي واعود الى العراق.
– اديب: ماهذا الخبر المفاجيء،هل قررت ذلك نهائيا.
– فرات: ان شاء الله، وقد كتبت الى اهلي اخبرهم بذلك.
– اديب: لا ادري ما اقول غير ان ادعو لك بـــالتوفيق، فأنا على علم انك لم تحقق من الناحية المادية مايستحق بقـــاءك هنا، المهم هي مسألة توفيقات، والحمد لله على كل حال.
– فرات: بعد ان استحصل حقوقي المتبقـــية من صاحـــب المكتب الذي اعمل عنده، سأسافر.
– اديب: ومتى سيكون ذلك؟
– فرات: انت تعرف الليبـــي، بـــاهي، وغدوه، وتوّه، والله غالب..
– اديب: الله كريم، انت بـــس لا تتهاون في طلب حقوقـــك اخبر صاحب العمل انك تريد السفر.
– فرات: اخبرته بذلك، وواعدني نهاية هذا الاسبوع.
– اديب: ننتظر و نشوف شراح يصير.
– فرات: اذا كان عندك اي رسالة او اخبار او توصية تريد ان اوصلها الى اهلك فأنا حاضر.
– اديب: في الحقيقة لن اكتب رسالة لأنني اريدك ان تزور

اهلي وتحدثهم بما انا عليه وانت عشت معي وتعرف طبيعة حياتي هنا، اخبرهم انني مرتاح في عملي وسكني والحــمد لله ، والامور جيدة واخبـــرهم انني هنا من اجلهم وان الله سييسر الأمور الى الأفضل، كما سأعطيك بــعض الصور لتوصلها اليهم، واريدك ان تصف لي احوالهم كما ستراها، لأنهم في الرســائل يتحاشــون ذكر التفاصيل، انا اريد ان اعرف كيف هي طبيعة حياتهم الآن.

– **فرات:** ان شاء الله.

– **اديب:** شنو رأيك بالسمك ؟

– **فرات:** احسن اكله.. شنو الطبخ عليك اليوم؟

– **اديب:** نعم.

– **فرات:** هذا هم حظي.. بس لا تتلف الأكل.. هههههههه.

– **اديب:** تره اني طبّاخ جيد.

– **فرات:** كم عين... هههههههه .

– **اديب:** اربع عيون... هههههههه.

– **سيد حسين:** السلام عليكم.

– **فرات واديب:** وعليكم السلام، الله يساعدك سيد شــلونك؟

– **اديب:** لماذا لم تطلب من بلال ان يأتي معك؟

– **سيد حسين:** لقد طلبت منه ذلك ولكنه اعتذر لأنه مشغول ولكنه واعدني بزيارة الأسبوع القادم..

– **ســلمان:** ســلام عليكم، اهلا فرات، شــلونك ، شــلون الصحة.

- **فرات**: الحمد لله، ابو زيد شلونك انت؟
- **سلمان**: نسأل عن اخبارك.
- **سيد حسين**: سيد رائد وين؟
-ا **ديب**: خرج من المعهد وذهب الى زوارة، ويمكن يبقـــى هناك يتغدى عند سامي وحسـيب.. عموما نحـــن سنبقـــي حصته من الطعام.
- **اديب**: هيا يا جماعة الغداء جاهز.

– **سيد حسـين:** تمضي الأيام وكأنها تتحـدى فينا كل ما نحمل من هموم وتدوسها بالزمن الذي يخترق فينا كل شيء ليمر عنوة او رغبة، لا قيمة لهمومنا في حسابـات الزمن، وجراحنا التي تنزف، تندمل مرغمة عندما تمرّ فوقها عجلة الزمن الذي يتجاهل كل شيء، هكذا تمرّ الايام، وهكذا شيئا فشيئا يتحدد موعد رحيل صديق افرزته سنوات الاغتراب وصقلت تلك الصداقة هموم حقيقية وجراح صادقـة تنزف العراق في اجسادنا جرحا بالغا وعميقا، هكذا يحـين موعد رحيل فرات الى العراق.

– **فرات:** يا جماعة سامحوني عن اي تقصير يكون قد بدر مني، وسابقى على اتصال بكم عن طريق اخي اديب.

– **اديب:** الله ييسر امورك وتوصل بالسلامة ان شـاء الله، وكما اوصيتك، اكتب لنا كل ما تراه واوصف لنا الاوضاع.

– **فرات:** ان شاء الله.

– **سلمان:** هل يعلم بلال بسفرك؟

– **فرات:** نعم ابلغته بذلك.. التقيته عند المحطة وودعته.

القمر يبتسم في السماء، والنجوم تتراقص ناثرة نسيم الهدوء الأمن في ذلك الليل وهو يتثائب على فراش الطبيعة الجميلة، والهواء المنعش يداعب جدائل الحياة البسيطة اللطيفة.

جلب بلال معه جهاز الحاسوب ليبقى مدة امتحانات الفترة الثانية مع اديب وسيد حسين وسلمان ورائد في البيت، بعدما طلب منه سيد حسين ان يقضي فترة الامتحانات معهم بدل ذهابه ومجيئه الى (صبراتة):-

- **بلال:** هل ما تزال عندك رغبة بانهاء عقدك يا سيد حسين؟

- **سيد حسين:** لقد تعبت يا بلال وصحتي كما تعلم قد ساءت بعد اصابتي بداء السكر وعائلتي هناك لوحدها، كما انني والحمد لله قد عملت لي بيتا خلال فترة وجودي هنا وهذه نعمة والحمد لله والباقي سهل ان شاء الله.

- **سلمان:** في آخر اتصال بأهلي، الحّ والدي عليّ كثيرا بالعودة وكذلك طلبت مني والدتي ثم انني افتقدكم هنا، واعتقد انه قد حان الوقت للعودة، او هكذا اشعر.

- **اديب:** يبدو اننا مصابون بداء الحنين الى الوطن فأصراركم على العودة يذكرني بدكتور حسين، وهو استاذ في احدى الجامعات، كان في المانيا مدة عشرين عاما وفي يوم ما كما يقول: قررت العودة الى العراق رغم ان البلاد يومها في حالة حرب مع ايران، وكنت في المانيا في وضع

لا ينقصني فيه شـــيء فأنا اســتاذ جامعي هناك.. زوجتي واولادي معي.. لكن احساساً الحّ عليّ بـــالعودة الى العراق لم اقـــدر على مقـــاومته فأستجبـــت له، ووافقـــت زوجتي الألمانية الأصل على العودة معي.

كنت اتعجب، ولا ازال لحـــــد الآن اســــتغرب لمثل هذا الموقف.. لماذا تترك الوضع الجيد الذي انت فيه وتعود الى وضع انت على علم بأنه ليس بمســتوى الوضع الجيد الذي تعيشه.

– **سيد حسين:** مهما طال بنا المقام خارج البلاد فإننا نبقـــى غرباء.

– **اديب:** انا اتفق معك، ولكن طالما انك تشعر بحال احسن في الغربـــة من حـــالك في الوطن، فلماذا هذا الشـــــعور بالإغتراب، بالنسبة لي فإنني ارى ان تعريف الوطن في انه هو الآخرين وليس المكان الذي ولدت فيـــه، الوطـــن هـــو المكان الذي تجد فيه نفســـك وتحقـــــق فيه ذاتك وتنال فيه الرزق والمكانة الاجتماعية والحقوق التي تحـــفظ وجودك حـــرا وغير محـــــاصر.. وعلى العموم، ما الذي يمنع ان يحتفظ المرء بجذوره العراقية ويعيش معززا في غربته.

– **سلمان:** ولكن لا يمكنك البقاء في الغربة الى الابد.

– **اديب:** ولماذا لا ؟

– **سلمان:** هل يمكنك ان تنسى اهلك الى الابد ؟

– **سيد حسين:** كلما طالت سنوات الغربة، ازدادت قســـوة

القلب، ومن المحتمل ان ينسى المرء اهله، ونحـــن لا نريد ذلك لأننا لم ننشأ على ذلك ولأن اهلنا لا يستحقون منّا ذلك.

– **اديب**: هل العودة في مثل هذه الظروف، حـــل لمشـــكلة الغربة، هل نســـيتم المعاناة التي عشـــناها في العراق، هل تصورتم المعاناة التي تنتظركم هناك عندما تعودون.

– **بلال**: انا لا ارى ان تحسين الوضع المادي هو الحل الذي يدعو الكثير للتفكير بـــــــالعودة الى العراق في مثل هذه الظروف وهذه الأوضاع فأنا لا ارى ان الحصول على بيت ملك مثلاً وان كان حـــدثاً مميزا الا انه ليس الأهم من بـــين الكثير من المتاعب التي يعيشـــها المواطن في العراق، كلنا نرغب في العودة الى البـــلاد والعيش هناك حـــيث الطفولة التي لا تنسى، وسني العمر التي عشناها بحـــلوها ومرّها، ولكن لا اراه الوقت المناسب، ولكل رأيه الخاص.

– **اديب**: انا برأي انه من الخطأ ان يقطع شخص مشـــوارا طويلاً في الغربة ويستقر في بلد ويجد نفسه ومستقبله هناك، ثم يترك كل ذلك ليعود الى المكان الذي ولد ونشـــأ فيه، ما المانع ان تزور ذلك المكان زيارة بين الحين والحين.

– **سلمان**: هذا الكلام ينطبق على اللاجئين في اوربا، فبعد ان يحصل على الإقامة ومن ثم الجنسية، وما يترتب عليها، يمكنه ان يزور اهله وبلده بين الحين والآخر، وانا معك في انه مخطئ عندما يفكر بترك كل تلك المزايا والحياة الآمنة والمتطورة ليعود الى ما كان عليه او الى الاسوء.

– **اديب**: ليس هذا وحسب ولكنه اذا عاد فلن يمكنه ان يحقق شيئا، بل سـيضطر الى ان يتكيف مع تلك الواقـع الخطأ ليعيش بشكل خطأ طبعا، وهذا بـرأي تراجع اختياري الى الوراء الا اذا كانت هناك ظروف قاهرة.
– **بلال**: هل تقصد بالظروف القاهرة تلك التي يتعرض لها الانسان في بلده او في خارجه ؟
– **اديب**: ربما لا فرق، المهم انها ظروف قاهرة.
– **بـلال**: ارى ان هناك فرقـا، فأي شـخص مثلاً عندما يتعرض لظروف قاهرة في غربته، وهو يعلم ان ظروفه في بلده ستكون اسوأ او ليست بالحل الذي يخرجه من الظروف التي يمر بـها، فهل ان عودته الى بـلاده هي حـل جيد او مناسب، انها مجرد هروب من قسوة الظروف التي هو بها.
– **سـلمان**: قد يناسب هذا الكلام الشاب الأعزب – مثلكم – ولكن الا ترى معي ان الأمر يختلف مع صاحب العائلة ؟
– **بلال**: لا ارى ذلك، بل على صاحب العائلة ان يجتهد ليجد لأهله حلاً ينقذه مما هم عليه لأنه يمثل نافذتهم الى الحـياة ووسيلتهم التي بها يحققون احلامهم.
كما ان الناس هناك لا يعيشون الراحـة الحقيقـة بـل انهم يعيشون الراحة المدفوعة الضريبة للدولة .. هل نسيتم كيف كانوا يبتزون الناس ؟!
– **اديب**: نعم، انني اذكر عندما كنت اعمل في السوق، كانوا بين الحين والحين يأتون ليأخذوا منا المال، مرة بحجة عمل

(كيكة) لعيد ميلاد سيادته!، ومرة يشحـــذون المال قســـرا بفرض صور سيادته على المحلات لأنهم يعلمون ان الناس تخشى ضمائرهم الميتة او المملوكة والمحكومة ويخشـــون على انفسهم سياط الظلم، فيخوفون الناس بها.

ما اتعس تلك الأيام..

– **سيد حســـين**: اتذكرون التجار الذين اعدموا في (ســـوق جميلة)؟ .. اعدموا بتهمة التلاعب بقـــوت الشـــعب.. انه عنوان مثير ، ويوحي بحجم اهتمام الحكومة بالناس، وهذا ما كان يتردد بـــين الناس وما يتناقـــله الإعلام الى الخارج لتجميل صورة النظام.

– **اديب**: ويا ليتهم يعلمون ان النظام بـــــعد ان اعدم اولئك التجار، رفع اسعار المواد الغذائية التي اتهم التجار بـــأنهم يرفعونها على الناس.

– **بلال**: بالتأكيد ان احدا لن يصدق حين تقول له ذلك.

– **اديب**: طبعا لا يصدق، لأن الإعلام يؤدي دورا قـــوياً في اظهار الصفحة البيضاء المصطنعة لمسيرتهم.

هذا يذكرني بمسلسل (الموت القادم الى الشرق) .. كان في المسلسل مجموعة من قطّاع الطرق يستولون على قـــافلة ويذبحـــون من فيها ويسلبـــون اموالهم ومتاعهم وبـــعدها يخططون للتوجه الى اقرب مدينة يمرّون بـــها ويدخلونها كتجار ويبدأون بشراء المحلات والأسواق ويتقربـــون من الحاكم الى ان يطيحوا به ويستولون على الحكم ويقـــيمون

دولة الرعب والإرهاب والقمع التي هي صنعتهم بالأساس .
– **بلال**: مسكين بلدنا ، مسكين جيلنا ، والجيل الذي ينشأ حاليا في احضان الوطن المنهك والمرهق ، انها مأساة كبرى ، العالم من حولنا يتفرجون ، ويعلمون ما يجري على ارض الواقع ولكنها المصالح.
– **اديب**: حتى منظمات (حقوق الانسان)، على علم بما يجري من اضطهاد لحقوق العراقيين ، على الأقل من خلال المعارضين الموجودين في الخارج ، ويفترض انهم على علم ومتابعة لحقوق الانسان داخل البلاد، لكنهم لا يحركون ساكنا الا اذا طلبت منهم المصالح العالمية التحرش بدولة ما بحجة انتهاكها لحقوق الإنسان فتثار عليها القضايا المحفوظة عند منظمات الحقوق ويفتحون ملفات ذلك البلد .
– **بلال**: كلام صحيح، بدليل ان منظمات حقوق الانسان تعلم تماماً ما جرى للأكراد من ابادة بالكيماويات، فقد كانت حادثة روّعت العالم وتناقلتها وسائل الاعلام.
– **سيد حسين**: ربما قتل الناس بالكيمياوي ليس من اختصاص منظمات حقوق الانسان .!!!!
– **سلمان**: يا جماعة تره كلها كلاوات ، لا حقوق انسان ولا بطيخ....!!!!
– **بلال**: يا جماعة هذه معاناة لا تنتهي، دعونا نتحدث في سفر السيد حسين وسلمان، ماذا يخططون لفعله هناك، وماذا عن اديب وسيد رائد، هل ستبقون في البيت ؟.

– **اديب**: لا ادري لحد الآن ولكن البقاء في البـيت يعني ان نتحمل الايجار انا وسيد رائد فقط، والبيت كبير وقد لا نجد من يشاركنا السكن فيه، بالنسبة لي احـتمال ان انتقـل الى السـكن في (الجميل) مع عماد وماهر، فقـد عرضوا على السكن معهم، خصوصاً وان عماد سينهي عقـده هذا العام وسأخذ مكانه في البيت.

–**بلال**: وسيد رائد.

– **سيد رائد**: قـد انتقـل الى السـكن في (زوارة) مع خالد وحسيب وسامي.

- **سلمان:** عدد كبير من المصريين والعراقيين سـيـنهون عقودهم هذا العام بعد انخفاض سعر التحويل.

- **سـيد رائد:** بالنسبـة للمصريين هناك اكثر من مكان يتوجهون اليه، ولكن اين نذهب نحـن ؟ ، هل نعود الى العراق في مثل هذه الظروف، وماذا انجزنا لكـي ننهـي رحلتنا بالعودة، الا تتفقون معي انها خطوة الى الوراء، على الاقل نحـن هنا نضمن رزق اولادنا واهلنا، من يضمن لنا ذلك في العراق؟!

- **اديب:** هذا صحـيح ، من يعيش خارج العراق وفق ظروف مناسبة، يصعب عليه ان يعود الى وضع اسوء، هل تعلمون اننا هنا لا نخلو من تلك المضايقات والمراقبة، هل تعلمون ان السفارة العراقية، ومن خلال بعض المعارين هنا وهناك يكتبون عن كل واحد منا ؟!

- **سلمان:** بس يا جماعة على العموم تره للغربه ضريبتها، اومن نزل سعر التحويل صارت ما تسوه، وبعدين هذا وقت محسـوب علينا، والناس هناك ميعرفون سـوى اننا في الخارج، وكل ما يشغلهم هو شجنينه من رحلتنا هذه.

- **اديب:** من قال اننا لم نجد شـيئا، هل سـمعت ما يقـوله القـادمون من العراق عن التغير الكبـير في اخلاق الناس وتعاملهم، وظهور جيل متعب بشـكل يدعو للاحبـاط... واجيال الرعيل الاول انسحقت معالمه تحت عجلة القهر في العراق.

من قال ان المكسب هو المال فقط، لقد كسبنا مع المال اشياء كثيرة... الراحة النفسية، والله لا اذكر انني كنت انام مرتاح البال كما انام الآن، ولا اذكر انني كنت آكل بشـــهية كما هو حـــالي الآن.. الأمان يا جماعة.. انه أمر مهم جداً جداً، هل نســيتم ان البــعثيين كانوا يُنغِّصون على الناس ســاعات راحتهم، انا شـــخصياً ازعجوني مرّات عديدة، كان اخرها ان طرقت الباب الساعة العاشرة ليلاً ليخبرني ذلك الشخص انه اصبح المسؤول عني تنظيمياً، وانني مقصّر في حضور الإجتماعات والعمل الحزبـــي، ولما تحـجّجت ببـــعض الأعذار، قال لي: اذا ما كنت تريد فأكتب طلباً بعدم رغبتك في الإستمرار بالحزب..

هل تتصورون مدى قذارة نفسية ذلك الشـــخص، كان يريد ان يكسر رقبتي، ولكن الله ينصر عبـــاده المغلوبـــين على امرهم، فقد تمكنت بفضل الله من التخلص من قذارته بـــأن طلبت منه ان يبحث لي عن مسؤول يمكنه ان يجتمع بي يوم جمعة...

هل نسيتم حالات الفزع والخوف والإزعاج المتعمّد، اذكر ذات مرّة عند احـــدى نقـــاط التفتيش، طلب مني ان ابـــرز هويتي، فأعطيته هوية النقابة... نظر فيها وقال:

– اريد ان اقول شيئا ولكن قد يزعجك ذلك.

– لا، ليش انزعج.

– استاذ هذه الهوية تتزور بـــ(٥٠٠) دينار.

- والمطلوب مني شنو.
- اعطيني دفتر خدمة.
- ومن قال لك انه غير مزوّر.
- مو كتلك راح تزعل.
- هو شنو قـيمتها حـتى ازور هوية معلم لو مدرس لو مهندس.!!! واشيلها وياي..

كنت كلما اتذكر تلك المواقف التي مررت بـها في العراق يقشعرّ بدني واحمد الله انه رزقني نعمة مغادرة البلاد..

منذ جئنا الى ليبيا والى الان لم يضايقـنا أحـد أو يزعجنا أحد.. ان الأمان والراحة التي نعيشها هنا لهي نعمة عظيمة لا تقـدَّر بـثمن، لقـد كنّا نخاف ونتوجّس من كل حـركة نتحركها لأن البعثيين يفسّرون المواقف حسب ما يريدون، انهم يعتقلون الشخص ويجعلونه يقرّ بما لم يرتكب من شدّة التعذيب الذي يمارسونه عليه، مقابل ان يرفعوا تقـريرهم الى المسـؤول الأعلى الذي سـيكتب عنهم الى مسـؤوله الأعلى ان لم يدفعوا بضحية على انها هي المذنبة، وهكذا ..

- **سلمان:** القضية ليست بهذا الحجم من المبالغة، فمن ليس له علاقة او نشاط يمسّ الحكومة فلا أحد يقترب منه.

- **بلال:** من كال هذا الكلام ، وياريت لو كان الأمر الى هذا الحد وبس، لكنهم يا اخي يتحارشون بالناس حتى يكسرون اركابهم، ويحـاولون خصوصا اذا كنت تعمل موظفاً، ان يجبروك على ان تدفع لشراء هدية لسيادته وهم يعلمون انك

على وضع مادي سـيء ويريدون من ذلك ان تتذمر وتتكلم لكي يطيحوا بك وبـعائلتك كي يحـصلوا هم على المكافأة والمرتبة الأعلى في نظر اسيادهم.

– **اديب:** المواطن محارب في العراق ولكن اسلوب الحرب يختلف من شخص الى اخر، فما يراه سلمان مبالغاً فيه هو نتيجة تنوع اساليب المضايقة التي تمارس من قبل النظام.

– **سيد حسين:** صحـيح، مدينة الثورة مثلاً، روح شـوفها شلون تعبانه، لأن اهلها امتعبين الحـكومة، الحقيقـة انهم ابطال، ووالله كان صدام يخاف منهم ومن تحركاتهم، لذلك كان يحاصرهم ويراقبهم ومفروض عليهم سـوء الخدمات والمعيشة.

– **د. علي:** عندما كنت طبيباً مقيماً في احدى المستشـفيات جاءت سيارة من احدى السجون التابعة للقـصر، وطلبـوا الطبيب الخافر، لسوء الحظ كنت انا..

اخذوني معهم.. في الطريق اعصبـوا عيني بـعد ان استسمحوني لهذا التصرف كونه جزءً من واجبهم.

لما وصلنا الى المكان المراد، ازالوا العصابة عن عيني واذا بي في مكان لا اعلم اين هو، وبعد قـليل عرفت انه سـجن وعليّ ان اكشف على بعض المسـاجين، دخلت الى دهاليز مظلمة حتى وصلنا الى غرفة صغيرة مظلمة، رائحتها نتنة جدا، ورطبة، طلبوا مني الكشف على الموجودين فيها، لقد كانت لحـظات مؤلمة جدا، لأنني رأيت هياكل عظمية

تتنفس، مفروض علينا ان نعيش لكي نلاقي ما هو اســوأ، ربما عقاباً على جريمة لا وجود لها، أو لمجرد أنه مشتبــه بــه، والأدهى من ذلك انني وجدت ثلاث جثث على جنب، طلبوا مني تحــرير شــهادة وفاة لهم دون ان يسمحــوا لي بمعرفة سبب الوفاة، كان عليّ ان اؤيد مفارقــتهم للحــياة فقط..

– **اديب**: ولكن الحقيقة ستظهر يوماً، وشمسها ستكشف تلك الجيف وتعريهم، وعسى ان يكون ذلك قريبا.

– **سلمان**: ماذا يمكننا ان نفعل، ليس بأيدينا شيء.

– **د. علي**: كل ما نستطيعه هو انقاذ انفسنا، العديد من اساتذة الجامعات والكفاءات والعقول هاجرت.. هنا في ليبيا كثير من الأساتذة القديرين والعقــول المبــدعة.. علينا ان نثمن الفرصة التي وهبتها لنا ليبيا، على الأقــل انها حــفظت لنا مكانتنا.

– **اديب**: اتدري انني فكرت لوهلة ان اغادر ليبيا راجعاً الى العراق، بعد ان انخفض ســعر التحــويل، ولكن مكالمتي الهاتفية مع والدي كان لها الأثر الكبير في التراجع عن هذه الفكرة، عندما اخبرته انني سأعود، بــلا شــك رحّب كثيرا بعودتي وقال لي: يا ابني احسبــها زين لأني ما اريدك تندم وانت يمّي، لأن هذا سيتعبني.

– **سلمان**: ليش ما تطلع الى اوربا، انت وحــدك، ما وياك عائلة..

– **سيد حسين:** علمت ان الجماعة في زوارة سيقدمون على اللجوء الى اوربا عن طريق البحر الى ايطاليا.
– **اديب:** حتى جماعة الجميل قالوا لي تلك الأيام انهم يفكرون بالأمر، يبدو انهم على علم بجماعة زوارة، المشكلة ان طريق البحر خطر كما انهم يسافرون على متن قارب نفخ والمسافة ليست قليلة والبحر غدّار.
– **سيد رائد:** المشكلة انه لا يوجد طريق آخر غير البحر.
– **اديب:** والله لا ادري ما اقول، نحن هنا قد لا نضمن البقاء لفترة طويلة ، ربّما يستغنون عنّا في اي وقت، والعودة الى العراق خسارة كبيرة، اللجوء عن طريق البحر خطر جدا، (انما اشكو بثي وحزني الى الله...).
– **سيد حسين:** فاز باللذات من كان جسورا.
– **اديب:** لا اجدني شجاعاً للاقدام على ذلك، ولو ان الحياة في اوربا تستحق المجازفة، ولكن.!
– **سلمان:** انت خليك على اتصال بالجماعة وشوف وقتها شلون تتطور الأمور.

كانت اجواء العام ٢٠٠١ مشحـــونة بحــــالة التوتر وعدم الإستقرار .. قـــد كانت فكرة اللجوء تروج يوماً بـــعد يوم والشباب حسيب وخالد وسامي يتابعون الموضوع بشـــكل جدّي رغم انهم يتكتّمون على الأمر الا للمقرّبـــين لأنه أمرٌ خطيرٌ ، اذا ما وصل الى الجهات المختصة فقد يتعرضون الى ما لا يحمد عقباه.

– **خالد** : هناك قارب سيغادر هذه الأيام الى ايطاليا ونحـــن سنغادر معهم، وننتظر اشارة الانطلاق.

– **سيد حسين**: ومن سيكون معك ؟

– **خالد**: حسيب، وكان سامي معنا الا انه تراجع اخيراً.

– **سيد حسين**: سامي ما عنده حظ كل مره يريد يسافر ولكن ما يتحقق هذا الشي.

– **خالد**: رجاءً سيد لا تذكر ذلك لأحد الا لمن تثق بهم.

– **سيد حسين** : اكيد، ربما اسافر قبـــل ان تســافروا انتم، فموعد الطائرة بعد يومين .

– **خالد**: اوصيك ان تمرّ باهلي في العراق وانا ان ســافرت الى اوربا فساكتب لهم من هناك، المهم لا تخبرهم بشيء.

ويأتي يوم سفر السيد حسين، بعد سفر سلمان بأيام.

– **اديب**: سأرافقك يا سيد حسين الى المطار ان شاء الله.

– **سيد حسين**: رحمه عليك.

– **اديب**: يعز عليّ ان اتركك دون توديع الى المطار فقـــد

سافر سلمان ولم اكن امتلك الوقــت الكافي للذهاب معه الى المطار، انها اللحظات الأخيرة التي تفصل بيننا ومن يدري قد لا نلتقي بــعدها، الا تستحــق تلك الذكريات ان نتوّجها بوداع اللحظات الأخيرة ، اعتقد انها تستحـــق اكثر، ولهذا فأنا مصرٌ على ان اكون معك حتى اللحـــظات الأخيرة التي لا املك بعدها ان اكون معك.

لا ازال اتذكر اللحـــــظات الأخيرة لي في العراق ،كان صديقاي حسن وصبــاح آخر من رأتهم عيناي، ولا ازال للآن اتذكرهم واتذكر تلك العهد والوفاء الأخوي والصداقة الحقيقية، ان للحظات الوداع الأخيرة اثرها الذي يبقـــى مع الشخص ما بقيت ذاكرته عامرة بــتلك الأجواء النقــية من العلاقات والصداقات.

– **سيد حسين:** يعزّ عليّ انا ايضاً ان نفترق، ولكن هذا حال الدنيا.. من يدري ماذا ينتظرنا غدا.

– **اديب:** لنترك الغد لمن يعلمه ، ولنتحدث عن اليوم، سآتي الى بيت خالد وحسيب وابات معك حــتى نخرج عند الفجر الى المطار باذن الله .

– **سيد حسين:** ان شاء الله، وماذا عن عماد ؟

– **اديب:** سيسافر قريباً، ولو انه لا يزال غير مستقــر على رأي، فهو بعد ان انهى يفكر ويتابع موضوع اللجوء.

– **سيد حســين:** انا لا اؤيد فكرة عودته، ولا عودة اي منكم ما دمتم بلا ارتباط ،لولا ارتبــاطاتنا الاســرية ، يمكن لما

فكرنا بالعودة.
– **ماهر**: هل علمتم ان حسيب وخالد قد وصلوا الى ايطاليا ؟
– **عماد**: سمعت ذلك.
– **اديب**: ومتى تم ذلك، قبل ايام كنّا عندهم لم يخبرونا ، ولم نلحظ عليهم اي شيء يوحي بأنهم على استعداد ، كل شيء كان عادياً.
– **ماهر**: انت تعلم بخطورة الموضوع.
– **اديب**: وماذا عنك يا عماد الم تكن على علم بتحركهم، الم تكن تريد اللحاق بهم.
– **عماد**: كلما استخرت الله كانت الخيرة مخالفة لنيّة الرحيل عبر البحر، وكلما اخذت خيرة للعودة الى العراق كانت جيدة، وانا في اشدّ حالات الحيرة.
– **اديب**: لا ادري ما اقول، ولكن هل انت متأكد من الخيرة التي تأخذها.
– **عماد**: جرّبت ذلك سابقاً، ولهذا لا استطيع ان اتركها.
– **ماهر**: لا ادري ما الخير في العودة الى العراق هذه الايام.
– **عماد**: سأنتظر بضعة ايام اخرى.
– **اديب**: وكيف كانت رحلة الجماعة ؟ هل واجهتهم صعوبة
– **ماهر**: لقد اوشكوا على الغرق وتاه القارب بهم وبقوا في عرض البحر لا يعرفون ماذا يفعلون.
– **اديب**: وماذا حصل ؟

- **ماهر**: يقول سامي انهم بقوا على حالة الضياع مدّة نهار ونفذ ما عندهم من وقود.
- **اديب**: اكمل بالله عليك.
- **ماهر**: يقول سامي.. كما اخبره خالد عندما اتصل به من ايطاليا، وبينما هم على هذا الحال حتى مرّ بهم قارب كبير قادم من تونس.. اوجسوا منه خيفة اول الأمر، فربما يكون من حرس السواحل، المهم لم يكن امامهم غير طلب المعونة من اصحاب هذا القارب:-
- من اين انتم؟ وماذا تفعلون ؟ والى اين تتوجهون؟
- نحن عراقيون، نقصد الوصول الى ايطاليا، وقد ضاع بنا الطريق ونفذ ما معنا من وقود وطعام .
- لا بأس عليكم اصعدوا الى قاربي، لتأكلوا وتتزودوا بالوقود.

.... على متن القارب:
- من اين انت ؟
- انا تونسي، اعمل على هذا القارب لنقل البضائع من دولة الى اخرى.. قلتم انكم من العراق، فمن اي مكان من العراق؟
- **خالد**: من مناطق مختلفة، انا وحسيب من بغداد، سعدون وكاظم من كربلاء.
- لا شك انكم مضطهدين في بلادكم بحيث انكم تجازفون

بارواحكم بهذه الطريقة.
- **كاظم**: نعم.
-لمّا علمت انكم من العراق لم اتردد في مســـاعدتكم، رغم خطورة الموقف.
- لقد بعثك الله لنا رحمة..
- سأرافقكم الى ان اصل بكم الى السواحل الايطالية وقبــل الوصول بمسافة ســأضطر لأن تتركوا القـــارب وتكملوا بقاربـــــــكم الصغير، لأن وصولي الى هناك يعرضني للمخاطر.
- ونحن نرفض ان تتعرض بسببنا الى الاذى.
- **اديب**: سبحان الله، لولا ذلك الرجل لكانوا قــد هلكوا، انه امرٌ خطرٌ جدا.
- **عماد**: بالتأكيد، وما من جماعة غادرت عبر البحـــر الا ووصلت بإعجوبة.
- **ماهر**: ولكن لا يوجد طريق آخر، صحـــــيح انه طريق خطر ولكن لا سبـــيل غيره لمن اراد الوصول الى اوربـــا، الكل يمتنع عن اعطائنا تأشـــيرة الســفر، ولولا ليبـــيا لما استطعنا ان نسافر من مكان الى اخر ولو بشـــكل محـــدود، تونس مثلاً لاتعطي تأشيرة الدخول لبلادها لأي عراقي مالم يكن مقيماً في ليبيا، سابقـــاً كانت المغرب تعطي التأشـــيرة للعراقيين ولكنها الآن تمتنع عن ذلك الا بشرط الحـــصول على الإقامة الليبية.. مصر ايضاً ترفض اعطاء العراقـــي

تأشيرة الدخول اليها مالم يكن مقيماً في ليبــيا، كأننا نحـــن اصحاب الفكر الخطر في العالم ولسنا ضحـــايا تلوث فكر الكبار.
- **ماهر**: هل نسيت ان مصر ارسلت قــوة عســكرية الى الخليج لضرب العراق !!!.
- **اديب**: ليست مصر وحدها، بل كثير من الدول الأخرى.
- **عماد**: انهم ينفذون ما يُطلب منهم.
- **اديب**: نحـــن في ظل ليبــــيا نعيش حـــالة من الأمان والإستقرار النسبـــي، هناك الكثير من العراقــيين لهم مدة طويلة هنا دون ان يتعرضوا المضايقة وازعاج.
- **ماهر**: صحيح ولكن سيأتي يوم وتستغني فيه ليبـــيا عن الكفاءات سواء عراقية او غيرها، وهذا أمر طبيعي، عندها سيتم الإستغناء عنّا، لذا لا بدّ ان نستبــق الأحـــداث وندرك انفسنا قبل ان نصبـــح في موقـــف صعب نضطر معه الى التراجع للوراء.
- **اديب**: .... ما كان لهم ان يختاروا، ان الخيرة الا لله .....
- **عماد**: المهم اننا نسعى والباقي على رب الكون، هو اعلم بالحال.
- **اديب**: بالمناسبة، فرات بعث رســالة وهو يســلم عليكم كثيرا.
- **ماهر**: ما هي اخباره ؟
- **اديب**: يقول ان اوضاع العراق سيئة وهو ينتظر ان يكمل

خدمة الإحتياط التي وجد نفســه ملزماً بــها، ثم يغادرالى الاردن.

– **عماد:** وكم هي خدمة الإحتياط الان ؟

– **اديب:** شهران، يقول ان الكتاب الذي عمله في الســفارة وقت كان هنا وطلبــت مواليده للاحــتياط، يقــول ان ذلك الكتاب كما قال له القاضي العسكري الذي احيل اليه بــتهمة التخلف عن الخدمة الإحــتياطية ، اخبـــره انه ذهب الى السفارة العراقية في ليبيا وحــصل منهم على كتاب يؤيد انه ملتزم بالتعليمات ، الا ان الحاكم العســكري قــال له : هذا الكتاب بلّه واشرب مايه...

– **ماهر:** وعماد يريد ان يعود!!

– **عماد:** شنو الحل ؟؟!

– **ماهر:** يا اخي دبّر طلعه للخارج، افضل من الرجوع، الا تســمع عن اوضاع العراق، فرات كان معنا هنا واليوم هو هناك وهو يتحدث عن واقع الناس وانت تعرف فرات جيدا وتثق بقوله.

– **عماد:** انا ماعدت استطيع الإستمرار هنا.

– **اديب:** لقد قلت لك منذ البداية وقبل ان تنهي عقدك، قــلت لك ان تأخذ اجازة زمنية وتســافر الى اي بــلد لتغيير الجو الذي انت فيه، لقد مررتُ انا بنفس الظروف التي تمرُّ بــها انت الان ومللتُ البقاء هنا ولكنّي حسمتُ الموضوع بالسفر الى سوريا مدّة الإجازة وقد انتفعت بها كثيرا .

– **عماد:** انا الان انهيت عقدي واكملت كل الإجراءات ولا سبيل لما تقول.
– **ماهر:** انا ارى ان تفكر بالوصول الى اوربـــا، حـــتى لو اضطررت للبقاء هنا مدّة من الزمن.
– **عماد:** المشـــــــكلة انني كلما اخذت خيرة كان الأمر مرفوضاً، يبدو انني سأعود الى العراق.
– **اديب:** انتظر قليلاً، لعل شيئا جديدا يحصل.
– **عماد:** انتظر الى متى ؟
– **ماهر:** يقول سامي ان هناك مركباً ســيغادر الى ايطاليا بظم مجموعة من العراقيين.
– **عماد:** لقد جاء د. علي وطلب ان يراك وهو ينتظرك في المستشفى، وقد يأتي الى هنا عصرا.
– **اديب:** متى جاء؟
– **عماد:** بعد الظهر وكنتَ لا تزال في المعهد.
– **اديب:** سأذهب اليه.

– **د. علي**: لقد وصلتني رسـالة من صديقـي د. امجد من ايرلندا، يقول انه قد سجلني في دورة دراسية في الجراحـة في كلية الطب هناك وسيقدّم ليحصل لي على تأشيرة السفر، واريد ان تذهب معي لاتصل به وافهم منه التفاصيل.
– **اديب**: انها خطوة موفقة، اذا سـهل الله فعليك ان تحـزم امرك للسفر وان لا تفكر بـالعودة وحـاول ان تتكيف مع الوضع هناك لتبقـى، انها فرصة قـد لا تتوفر مرّة اخرى واعلم ان كثيرين سيحسـدونك عليها ، لأنك ترى كيف ان الناس تسافر وتخاطر بنفسـها عبـر البحـر للوصول الى اوربا.
– **د. علي**: لا اريد ان يعلم احد بذلك سواك حتى احصل على الفيزة
– **اديب**: اطمئن.
– **د. علي**: يقول امجد ان التأشيرة ستصل ان شـاء الله الى القنصلية في عمّان وعندما تصل سيخبرني بذلك.
– **اديب**: الله يسهل، انت تستحق كل خير.

... بعد مرور شهرين...

– **د. علي**: لقد اتصل بي امجد واخبرني بأن التأشيرة وصلت الى عمّان وانا ذهبت للإتصال بالقنصلية للتأكد، فعلمت انها وصلت فعلاً.

– **اديب**: وماذا ستفعل؟

– **د. علي**: سأطلب الحصول على اجازة واسافر الى عمّان، ومنها الى ايرلندا، عندي رصيد من الإجازات حوالي شهرين، واذا حصل واستطعت ان ابقى هناك فسأطلب منك ان تكمل لي اجراءات الإنهاء واستلام المستحقات المتبقية لي.

– **اديب**: توكل على الله .. انت تعرف كيف تدير الأمور، عسى ان ييسر الله لنا بعدك لتكون انت السبب في وصولي الى هناك.

– **د. علي**: ان شاء الله، سأعمل لك توكيلاً للتصرّف بكل ما يمكنك من اتمام اجراءات الإنهاء، وطبعاً لن تفعل شيئا الا بعد ان اخبرك عبر الإنترنت.

– **اديب**: توكل على الله، اكتب لي من كل مكان ستكون فيه، عندما تصل عمّان، وقبل ان تسافر، وبعد ان تصل الى ايرلاندا.

– **د. علي**: اكيد ستكون على اتصال مستمر.

– **ماهر**: لقد وصلت رسالة الى عماد من اهله يخبرونه بأن والده قد توفي.

– **اديب**: الى رحمة الله، واين هو الآن.

– **ماهر**: خرج بعد ان قرأ الرسالة.

– **اديـــب**: كان من المفروض ان تكون معـــه او لا تتركـــه يخرج لوحده.

– **ماهر**: لا تقلق، عماد كان متوقعاً ذلك، فقد اخبرني قبـــل ايام انه رأى والده في المنام، وكان قلقـــاً جداً منذ ذلك اليوم حتى بيّنت الرسالة اليوم حقيقة حلمه.

– **اديب**: علينا ان نقيم له مجلس عزاء.

– **ماهر**: نعم، اعتبارا من اليوم سنرتّب كل شيء، وسنبـــلغ الجميع بذلك.

– **اديب**: انّا لله وانّا اليه راجعون.

– **عماد**: لقد قررتُ العودة الى العراق.
– **اديب**: ارجو ان تكون قد حسبتها جيدا.
– **عماد**: ومن منّا كان قادرا على ان يحسب خطواته التي يخطوها، نحن نمشي ونجهل ما يخفيه لنا القدر.
– **ماهر**: هل يعلم اهلك بالقرار الذي تريده؟
– **عماد**: نعم يعلمون، ورغم ان اخي الكبير نصحني بعدم العودة لأن الظروف ليست على ما يرام، الا انني توكلت على الله وسأمضي.
– **اديب**: ربما يكون الظرف الذي مررت به، هو الذي اثر عليك في اتخاذ هذا القرار، انا معك، انه ليس من السهل ان تعلم بأنك رغم سنوات الغربة التي منعتك من رؤية والدك رحمه الله، فأنك لن تراه ابدا، لا شك ان لذلك وقع كبير عليك، ولكن انت تعلم انه حكم الله، وهو خير الحاكمين.
لقد جاء عليٌ ليواسيك ولم تكن موجودا ، وسيأتي الليلة لأنه سيسافر بعد غد.
– **ماهر**: هل انهى عقده؟
– **اديب**: كلا ، لقد قدّم على اجازة ووافقوا عليها، وسيسافر وهناك سيقرر ان كان سيعود ام لا.
– **عماد**: الله يوفق الجميع.
– **ماهر**: اصحابنا يتفرقون من بيننا، كل يتجه الى طريق، بعد ان جمعتنا ايام جميلة، وقاسية، لقد اصبحت جزءا منّا، كيف سنصبر على الفراق، والى متى نبقى ملتاعين بالفراق

والدموع والحزن.
– **اديب**: هذا حال الدنيا، ان ما يخفف وطأة هذه الأحــزان واللوعة هو ان يتوفق اصحابنا في مساعيهم، فلوعة الفراق تخف عندما نعلم بأن فلان من الأصدقاء قد اصبح في وضع افضل.
– **ماهر**: هل وصلك شيء من د.علي ؟
– **اديب**: نحن على اتصال دائم عبر الانترنت، هو الآن في ايرلندا وقد التقى صديقه ، انه مندهش تماماً، يقول ان الحياة هناك مختلفة تماماً عمّا نحن عليه .
– **ماهر**: اكيد، المهم ان يتمكن من الإستمرار.
– **اديب**: يقول ان الحياة صعبــة جدا هناك، ولكن صديقــه يساعده على فهم ما يفعله من خطوات.
– **ماهر**: عماد سيسافر غدا، وسنستأجر سيارة الى المطار.
– **اديب**: الله كم من عزيز انتهى لقاؤنا به عند المطار، ومن يدري ربما لا نجد من يودعنا عندما نريد الرحيل.

... بعد ايام ....

– **ماهر**: التقيت بـ سامي في زوارة وسألته عن الجماعة فأخبرني ان حسيب وخالد الآن في المانيا، اما سعدون وكاظم فقد ذهبا الى لندن.

– **اديب**: هل تعلم ان هناك رحلة جديدة ستنطلق الى ايطاليا؟

– **ماهر**: سمعت بذلك، وقد عُرض عليّ ان اكون معهم وانا محتار جدا.. مسكين عماد كم كان ينتظر مثل هذا الوقت..

– **اديب**: كل واحد ونصيبه.

– **ماهر**: وانت ماذا تقول في الأمر.

–**اديب**: في الحقيقة لا ادري ما اقول، على الرغم من النتيجة الإيجابية لو وصلنا، فأن الأمر خطر جدا، فماذا لو فشلت الرحلة والقي القبض علينا، هل سنبقى في وظائفنا ام انهم سينهون عقودنا ؟، واذا انهيت عقودنا هل سيمكننا ذلك من البقاء في البلاد، ام سيفرضون علينا المغادرة ؟، اذا حصل ذلك فإننا سنفقد الاول والتالي.

– **ماهر**: اغلب الذين سيسافرون ليسوا من المتعاقدين، اغلبهم من اصحاب الأعمال الحرّة.. ولكن قد لا نجد من نسافر معه، لو بقينا نترقب الأمور.

– **اديب**: هذا ما لانستطيع ان نجزم به.. هل تعلم ان د. علي سيعود الى ليبيا !!

– **ماهر**: معقوله ! لماذا؟

– **اديب**: يقول ان التأشيرة التي حصل عليها مدتها ثلاثة

اشهر ولمّا ذهب الى الهجرة والجوازات لكي يجدّد التأشيرة اخبرته الموظفة ان ذلك غير ممكن، لأن القانون يمنع ذلك وعليه ان يغادر البلاد وان يقدّم على التأشيرة من الخارج، وواعدته انه سيحصل عليها مرّة اخرى لأنه حصل عليها اولا، وهذا يسهل عليه الإجراءات.

– **ماهر**: لماذا لا يطلب اللجوء؟

– **اديب**: اخبرته بذلك ،لكنه يرفض الفكرة رفضاً قاطعاً .

–**ماهر**: عجيب.. الناس تغامر بحياتها وحياة اطفالها لتصل عبر البحر وبهذه الطريقة المخيفة املا بالوصول الى اوربا، وعليّ بينه وبين اللجوء خطوات بسيطة ويرفض ذلك.!!

– **اديب**: لكل واحد مبدأ ورأي، وقد شرحت له كل ذلك واخبرته انه قد لا يحصل على هذه الفرصة مرّة اخرى، لكنه لا يستطيع ان يفعل ما لاترضاه نفسه.. قال انه سيخبرني بالتفاصيل عندما يعود، فكل رسائله على الإنترنت قصيرة محدودة العبارات، لكنه يقول انه متأكد من الخطوات التي يسير عليها، هذا ما علمته من رسائله، واتمنى ان يتحقق ما في باله.

... في المعهد ....

- **سيد رائد:** لقد وصلتني رسالة من سلمان ورسالة من سيد حسين، وهذه الرسالة لك.

- **اديب:** ان شاء الله تكون اخبارهم جيدة.

- **سيد رائد:** ستقرأ الرسالة وتعرف اخبارهم ربما كتبوا لك تفاصيل اكثر، ولكن سيد حسين اخبرني في رسالته ان والد سلمان قد توفيّ.

- **اديب:** رحمه الله، كان والده متعب جدا، اتذكر في الفترة الأخيرة انه كان يقول ان والده مريض جدا وعليه ان يكون هناك.

- **سيد رائد:** سأكتب له رسالة تعزية.

- **اديب:** يقول سيد حسين ان الأمور في العراق غير جيدة هو الآن يعمل سائق اجرة بسيارته التي اشتراها عند عودته.. سلمان اشترى بيتاً، ويعمل مع صديق له في بيع وشراء السيارات.. لكنه غير متفائل بالأوضاع ابدا، وذكر لي في رسالته خبر وفاة والده رحمه الله.. يقول انه افتقدنا معه.. كما يقول انه سيسعى للحصول على عقد عمل في ليبيا اذا جاءت اللجنة الى بغداد هذا الصيف، وهو يسأل ما اذا كانت هناك لجنة ستذهب الى العراق.

- **سيد رائد:** يا اخي مشكله، لا الباقي هنا مرتاح، ولا الراجع للعراق مرتاح، ولا اللي في اوربا مرتاح، مادري شنو قصتنه احنه العراقيين، احنه ما نعرف نعيش، لو

وضعيته خاصة .!!؟؟

– **اديب**: كل واحد وتجربته، ربـــما تلكي شـــخص صارله سنين عايش في ليبـــيا ومرتاح ، وتجد اخر غير مرتاح في ليبيا، ووجد راحته في اوربـــا ، وقـــد يكون العكس، هناك ظروف تتحكم بـــنا، فمثلا د. عليّ ارغمته الظروف على العودة من ايرلندا، وعاد لم يجد بُداً من العودة الى العراق وكذا سيد حسين وسلمان، ونحن اخترنا البقاء، على امل ان ننتقل الى مكان افضل، انه الطموح الذي قد يصل بصاحبه الى الهلاك، وقد يصل به الى الرضا ان وجدت القناعة مع الطموح، لأن الطموح بلا قناعة ولا حكمة سيكون تخبطاً لا غير، وبهذا سيبقى صاحبـــه غير مرتاح ابـــدا ولو كان في افضل مكان واحسن ظروف، انا مثلا لو ضمنت بقائي في ليبيا لأخترت ان ابقى اطول مدّة ممكنة...

– **سيد رائد** : انه جيلنا المسكين الذي فرض عليه ان يعيش تلك المعادلة الصعبـــة وان يكابـــد ليفرض وجوده ومع اننا نبذل فوق ما نستطيع الا ان الشيطان ومن يقف وراء التحكم بالأقدار البشرية يضيقون علينا الخناق ويتحكمون بـــنا من بعيد.. هؤلاء الناس من حولنا يعيشون حـــياة طبـــيعية وما يريدونه يجدونه ببذل جهد طبيعي، اما نحن فإننا نبذل جهدا قسريا، ومع ذلك قد لا نجد ما نريد..

لون الحياة يبـــدو غامضاً، وطعمها مُرٌ، ونحـــن نعيش في زمان تنتهك فيه رقة الأزهار ويستبـــــاح عطرها على الأجساد النتنة.
زمن تنتهك فيه حرمة الأخلاق على شفاه التافهين، وتموت فيه المصداقية في سلوك النائمة ظمائرهم وهم يتحدثون عن الصدق ويغرون الناس بالكلمات الكبـيرة والأصوات التي يحتاج قوتها ايقـــاع نفوس الفقـــراء لتهتز فيهم اوتار النفس المعلقة بالأمل دون ان يعلموا ان تلك الأصوات تنبعث من تمثال وليست من انسان.
زمن تلونت فيه شرايين الحياة بلون ابيض شائب ، لانبض فيه، واصبحت الحياة فتاة كهلة باكرتها الشـــيخوخة فماتت معاني الجمال في وجهها الشاب الممتلئ بـــتجاعيد القـــهر وخطوط اليأس السوداء في قسماته.
لا نملك الا انتظار ذلك الموعود، لأننا فقدنا الأمل بكل ماهو موجود في التكوينات البشرية.
الشيطان تمكن من الرحمن في النفوس الضعيفة، المجهضة الإرادة التي لا تملك قدرة الإستنهاض بمقـــوماتها الداخلية لمقاومة الشيطان بعد ان مارســـت القـــوى الخارجية فعلها وحاصرت تلك النفوس فلم تعد تجد سبـــيلاً لإقـــناع ذواتها بفوضى هذا الزمن غير ان تبرر انتشار التلوث الشـــيطاني فيها على انه تسلسل اعتيادي لمســـيرة الســـنين، فاختلطت مفاهيم الرحمة واصطبغت بصبغة الفكر الملوث الذي يجد

مبررا لكل فعل خطأ لكي لايجد نفســه في موقــع الملامة، هكذا اصبحت الرشوة تعني الهدية، واختلاس اموال الناس بطرق غير مباشرة اصبحــت احــدى مفردات المهارة في الكسب، وذكر لفظ الجلالة المقدس والتكبير بأســم الخالق تبريرا لذبح الأبرياء كي تموت الحقيقة امام صوت الباطل المتعالي، المتواري خلف ثوب الايمان الذي تلبســـه تلك النفوس الشيطانية.

زمن تُســخَّر فيه المفاهيم الكبــيرة والخطوط العريضة للاسلام، والاخلاق، والانســانية، والفكر النزيه، من اجل تحقــيق الاهداف الشــخصية، وان كانت تتعارض مع تلك المفاهيم والقيم العالية.

زمن تلوثت فيه حبّات الهواء بعد ان اطلق الشــيطان زفيره في الجو ، فأختنق الهواء وراح يدخل صدور الابرياء خانقا مختنقا ليفرض على الناس اما الموت اختناقاً بذراته الملوثة بالرذيلة والخطيئة التي يرتكبها الانســان في كل آن، واما التكيف معه، لا مجال لإرتداء الاقنعة الواقــية ، لأن اعداد جراثيم التلوث البشـــري كثيرة جدا ومفعولها قـــويٌ، والمضادّات التي تمنحها مقــوّمات الحــياة للناس، منتهية المفعول لاتضر ولاتنفع ان لم تكن ضارة.

زمن تقــف فيه الايام محتشــدة على بوابــة التاريخ ذليلة، مهانة، خائبة، مثقلة بالإحباطات ، تحــمل خطايا الكبــار وترمي بثقلها على اجيال من الأبرياء ولدوا مابــين تاريخ

مليئ بالغدر والخيانات والمؤامرات ، وبين زمن تافه يجتر ذكريات عفنة، جيل كُتب عليه ان يكون منتمياً لتاريخ دموي تصارعت فيه المصالح على حساب المبـــادئ في كثير من مراحله، فتوارث الأحـــفاد هذا الخزي واحـــتظنتهم ازمنة مجهضة بائسة تركتهم يتوارثون اشـــواك الزمن الماضي وان مرّت على انوفهم رائحة الورود.

زمن تلبست بـــه عادات الجاهلية ، فأصبـــح الناس تماثيل جميلة لاتعرف سوى لغة الحجارة، ولم يعد لوخز الاشواك اثر فيها ولا لرائحة الزهور.

– **ماهر**: انه زمن الصراع من اجل البقاء، والبقاء من اجل لاشيء سوى استمرارية بقاء التماثيل دون حطام ظاهري، لأنها تحطمت من الداخل واصبحت حجارة بلا مشاعر ، بلا عروق، بلا نبض، هكذا تتألم الطبيعة من حولنا حتى وهي نائمة، فلا تكاد القلوب المرهفة تسمع غير انين الاشـــجار، وبكاء الأنهار، وصرخات الأزهار، وهي توخز باشـــواك الغدر هنا وهناك.

– **اديب**: ترى من يستطيع ان ينقذنا من هذا الزمن المتعب، ومن يستطيع ان يعيد للتماثيل ،الاحســـاس والشـــعور، من يستطيع ان يترجم اصوات الطبـــيعة، ويعيد لها حـــصانتها بعدما داستها اقدام التماثيل.

– **ماهر**: انه زمن تتقارب فيه الأصوات وتتباعد النفوس ، تتزاوج فيه المصالح الجامدة وتولد الانتهازية والحـــــياة

المفرغة من ايقاع الحقيقــة الناصعة والصدق الذي يضفي على الحياة لوناً اخضراً زاهياً، تورق على نضارته النفوس المتعبة وتغدو واقعاً مبتسماً يشدُّ الناس الى الأمل والســعي من اجل واقع جميل بلا الم ولا خوف ولا رعب او ارهاب.

– **اديب:** زمن لا جدوى فيه من اليقظة ، وكأن صوت ابي تمام منذ سنين يدعو الفقراء والأبرياء والمساكين الى النوم لانهم لن يتمكنوا من فعل شيئ في تلك الزمن، فكيف بــهم وهم في هذا الزمن، هل يدري ابــو تمام ان الزمن غير ذلك الزمن وان الناس غير اولئك ؟!

– **ماهر:** آه يا هذا الزمن، الى متى نبقى ننتظر.

– **اديب:** يبقى عزاؤنا اننا ننتظر من ينتشــلنا من نفوســنا المجهضة، نحتاج الى صحوة توقظنا وتبث فينا الامل، بعد ان اصبحنا نعيش في زمن ترتهن فيه حياة الانســان بــــ (بندقية يرفعها جبان)، او معتقد خاطئ يحمله جاهل صلف، او تمثال متحرك يبحث عن المزيد من الثروة بــالتجارة في اي مجال حتى كرامة وشرف الانسان.!!! لا شــك انه آخر الزمان.!!!

– **ماهر:** يبدو ذلك.. الأخبار ووسائل الإعلام تتحدث بكثافة عن وضع العراق وسعي المعارضة مع امريكا للإطاحــة بالنظام.

– **اديب:** كلام.. مجر كلام.

– **ماهر:** نتمنى ان يتخلص الناس من الظلم والظلام.

– **اديب:** نعم، والأهم هو ان لا يقعوا في ظلم آخر.
هل تتوقع انه ممكن ان يعيش الناس في العراق تحت حكم عادل؟!!!!

– **ماهر:** الله ارحم الراحمين، هو يتولانا برحمته، فما ذنبنا نحن ان كان غيرنا على خطأ.

– **اديب:** الشرُّ يعم ياصاحبي، والخير يصيب القلة فقط.
سأضطر هذه الأيام للتأخر الى وقت الليل وربما ابيت مع د. علي لأنه على وشك العودة الى ايرلندا فقد حصل على الفيزة مجددا.

– **ماهر:** الله يوفقه، وهل سينهي عقده ؟

– **اديب:** نعم ، وسيعمل لي وكالة لأتمم له الإجراءات ان هي تأخرت او قد يحتاج الى اشياء اخرى هناك.

– **ماهر:** بالمناسبة، اخبرني إياد ان استاذاً عراقياً يريد السكن معنا في البيت وهو مدرِّس لغة عربية ، كبير السن .

– **اديب:** لامانع عندي.. بعد موافقة الجميع.

– **ماهر:** سأبلغه ان يأتي الى هنا ونتغدى مع بعض.

– **ماهر**: يقول عماد في رسالته الأخيرة ان اوضاع العراق ليست جيدة وانه منذ أن أكمل خدمة الإحـــتياط لايزال بـــلا عمل، وقـــد ســـلّم على الجميع وهو يؤكد علينا عدم التفكير بالعودة.

– **اديب**: ليس هو فقط من يقول هذا الكلام، اغلب من رجع الى العراق تكوّنت عنده هذه الإنطبـــاعات التشـــائمية، الا تذكر ما حدّثنا به ابو عمار وابو سامر.. انا شخصياً ماكنت اتصور ان في العراق كوارث بشرية بهذا الحجم، لقد تركنا العراق بوضع اهون مما نســـمع عنه من فلان وفلان ممن قدموا قريباً من العراق.

اتذكر احاديث ابو سامر الكربلائي، وكيف يعاني الناس في كربلاء، كيف حاصرتهم الحكومة في ارزاقهم، الأمر الذي دفع بعدد من الشباب ومنهم ابن اخته للسفر الى بغداد للعمل هناك، وكيف كانت مخابرات الحكومة تعمل للوصول الى اماكن سكن وعمل هؤلاء، وتلقي القبض عليهم وتســـلمهم الى الجهات الأمنية في محـــافظتهم، وهناك ينزلون ضيوفا على البـــعثيين ويكرمونهم على طرقـــــهم الخاصة!!!! ثم يطلقونهم. اي طعم للحياة يمكن ان يشعر به الانســـان وهو محطم داخل كيان بلده.

– **ماهر**: المشـــكلة لا تقـــف عند هذا الحـــد ، الادهى هو استهتار الحكومة بمعاناة الناس، والا ماذا تسمي تبجّح ابـــن وزير او مسؤول، لايتجاوز العشرين عاماً بسيارة حـــديثة

فارهة، ومعه حماية مسلحة، يحمل بيده الموبـــايل، وينزل الى الشارع يعرض عضلاته على جوع الفقراء ، اي اخلاق هذه، واي تربية، واي بلاء!

– **اديب**: لاغرابة ولاعجب فهذا هو حكم العصابـــات، ان مانراه نحن غريباً هو امر طبـــيعي في عرف هؤلاء، لأن المسألة تختلف عندهم فمثلاً الشـــرف عندك وعندي وعند الأسوياء من البشـــر يعني ان تحـــافظ على عيالك وتصون عرضك واعراض الناس، اما عندهم فإن الشرف يعني ان لايسمح لأحد بـــالإعتداء على عرضه، ولامانع من اعتدائه هو على اعراض الناس لأنه الأقوى.

والشـــــجاعة مثلاً تعني ان تواجه عدوك وجهاً لوجه ، أما الشجاعة عندهم فإنها تعني ان لايسمح لعدوّه بالنيل منه ابدا وان يتبع اي وسيلة للنيل منه وان كانت وسائل غير شريفة او لاتدل على الشـــجاعة بـــمفهومنا نحـــن،كالغدر مثلا او الخديعة، لذلك فإننا نســـتغرب من اخلاقـــياتهم بـــينما هم يستغربون لأننا مستغربين منهم.

– **ماهر**: اي قدر تعيس هذا الذي تفرضه علينا الحياة.

– **اديب**: لعل التصعيد الإعلامي الأخير ضد الحـــــكومة ، سيقود الى احداث تغيير في العراق، لأن امريكا في اللعبـــة وهي شيطان قذر، واذا وضعت يدها في العراق فإنها لاشك مقبلة على احداث تغيير فيه، هذا مايبدو من خلال وســـائل الاعلام.

– **ابو هديل** (الساكن الجديد في البـيت): اتوقـع ان تكون نهاية النظام في العراق قريبـة جداً لأن التصعيد الإعلامي الكبير واللقاءات المستمرة والمكثفة مع معارضين عراقيين في الخارج لاشك ان لها ابعادا اكبر من مجرد الاعلام.

– **اديب**: هل صحيح اننا سندرك اليوم الذي نرى فيه وجها جديدا للعراق، هل سينقشع الظلام ؟!!!

ام انه مجرد كلام !!!.

ابــو ميثم: (مدرس لغة انكليزية) لو فرضنا ان الأمور ستتغير في العراق وسـيزول نظام الحـكم الحـالي، فهل ستعودون الى البلاد ؟

– **اديب**: اكيد، السبـب الرئيسـي وراء وجودنا في اماكن مختلفة في العالم هو وجود الوضع القـائم في العراق، وجود المضايقـات المسـتمرة.. وجود الخوف المزمن، وجود الرقابة والتسليب القـانوني لممتلكات الناس.. وجود الموت المبرر بأسم حماية السـلام.. وجود الاذلال المتعمد للمواطن وتحقيره على ارضه.. وجود العوز الثقـافي لدى الحاكمين.. وجود المنافقين.. وجود جرذان النظام.. وجود ابواق مأجورة تعمل على تحـطيم الانسـان .... كل هذه الاشـياء جعلتنا بـعيدين عن الوطن، فإذا زالت كل هذه العقبات فلم لانعود.

– **ماهر**: لا ادري ما اذا كان ذلك سيحصل فعلا ام لا. كنت اتمنى لو اننا في اوربا ونحصل على الإقـامة والجنسـية

وعدنها يمكننا ان نفكر بـــــالعودة الى العراق لأن لدينا خط رجعة، في تصوري ان امور العراق لن تروق، لاقريباً ولا بعيداً، ثم ما الدافع الكبير الذي يدفعنا للعودة ونحن لم نر ولم ننعم بأيام طبيعية في حـــياتنا هناك لا في طفولتنا ولا عندما كبرنا، بل العكس عندما كبرنا كانت هناك ضرائب كبـــيرة وقاســـية تنتظرنا لندفعها لمجرد اننا عراقـــيون، لا نريد ان نعيش على ارضنا كما يريدون لنا..

– **اديب:** بالمناسبة، بالأمس عندما زارنا حـــيدر وطلب ان يتحدث اليّ بموضوع خاص، كان يعرض عليّ الاســـتعداد للسفر معه ومع مجموعة من العوائل التي ســـتتوجه عبـــر البحر الى ايطاليا، ولكون الرحلة تشمل العوائل فقـــط فقـــد اراد ان يســـرّني انا بـــالأمر لمعرفته بـــي ولثقـــته ايضا، ولخطورة الأمر فقد طلب ان يتحدث معي بعيدا عنكم.

– **ماهر:** وماذا قلت له ؟

– **اديب:** وافقته على ذلك.

– **ابو هديل:** لماذا لم تفكروا بالأمر من قبل وخصوصا انكم هنا منذ سنين ؟

– **اديب:** انا شخصياً لم اكن مضطراً جدا للتفكير بهذا الأمر وخصوصا انني مقيم هنا ولي عملي المستقر وعقدي يتجدد كل عام، ولم يكن موضوع الإستغناء عن المغتربـــين قـــد نضج كما هو الآن، وانا مرتاح جداً لأجواء ليبيا وطبيعتها، والتعامل مع الناس مريح نوع ما، لم اجد ضرورة للتفكيـــر

بالرحيل عن ليبيا.

- **ابو هديل**: وماذا تغير الان ؟

- **اديب**: الان.. اصبح العراق قريباً من مفترق طرق.. ان حصل وانتهى النظام الى حيث لا رجعة فهذا هو المطلوب، وان لم يحصل ذلك فمعناه ان لارجعة لنا الى العراق ابـدا ابدا، وفرصة بقـائنا هنا تتضائل عاما بـعد عام، وهو امر طبيعي.. يوماً ما ستحلّ الكوادر الليبية محلّ الأجنبية وهذا يعني انه سيستغنى عن خدماتنا.. إذا حـصل ذلك فإلى اين نذهب ؟ هنا يصبح لزاماً علينا ان نفكر بمكان آخر نلجأ اليه.

- **ابو هديل**: افهم من كلامك ان الرحلة ليست قريبة.

- **اديب**: تقريبـاً، ماتزال في بـدايتها، الترتيبـات والاستعدادات، ثم ان الرحلة لن تتم الا في الصيف لأن جو البحر هذه الأيام مضطرب، وقد يتسبب في مخاطر نحن في غنى عنها.

– **اديب:** اعوم طويلة مرت وأنا أتسلق جدار أحـــزاني ومعاناتي كي أرى وجه بــــلادي . اعوام مرت وأنا انزف جراحي ببطيء شديد وأكابـــر على الموت لا خشـــية منه ولكن أملاً في رؤية وجه بلادي، وتمرّ الأيام ، زهرة الأمل تذبل شيئاً فشيئاً ، وينبت اليأس في الأعماق ،ويزداد رصيد القـــهر والخوف، عمر بــكامله وأنا قابـــع داخل نفســـي ، محاصرٌ بالخوف ، أطالع وجهي في المرآة علّي أرى وجه بلادي .. ثم اقرر الرحيل ماشـــياً في درب الإغتراب ربّما تساعدني الغربة كي أرى وجه بـــلادي ، ضيعتُ ســـنوات وسنوات ، لم اكن أتصور أن انتظار الأمل يحتاج إلى أمل ، كثيرون ماتوا خارج البلاد ، وكثيرون ماتوا داخله .. كلهم كان ينتظر ذلك اليوم ، حتى أنني خشيت أن يتوقف بي قطار العمر قبـــل أن يوصلني إليه .. كثيرون استســـلموا للقـــدر واعتبروا ما يرونه هو ذلك الوجه الذي عليهم تقبله للبلاد .. وتمر الأيام والسنين ويصبـــح لون الأمل اصفراً والزمان يتّشح بثوب من الروتين القاتل وخلف الستار تختفي أحداث وأحداث ، عيون المشاهدين تترقب بـــأمل يشوبـــه خوف كبير.. سنين طوال مرّت وأنا أحاول أن (ابلع حبة البـــث المباشر) ولكني فشلت.. لذلك قررت السفر.. قدماي تلتهم الخطى، ونفسي تضيع في متاهات الطريق، وعيناي تروي بدموعها صحراء وجهي الشاحب، كل شي كان يشـــير إلى أن المطر الذي تنتظره الأرض منذ سنين لن يهطل ، صيف

يتبعه شتاء وليل يلف في حـــناياه أقـــماراً ونجوماً، وتطول ساعاته ليزداد عمق الجراح ، ثم يأتي النهار ذابلاً خاوياً لا شيي فيه يوحي بولادة يوم جديد غير تلك الأشعة الشمســـية المنبعثة من آلاف الأميال ، والتي اخذ تكرارها يفقــد النهار الإحساس بأنه يوم جديد ،عام بعد عام ، الإيمان يصل حـــدا يتوقف بعده عن المواصلة .. والحـــب تجف عروقـــه في أجساد الأحبة كلما ازدادت قضبان الحديد حولهم .. النفوس تضيق ذرعاً ونفحات من رحـــيق الأمل تمدُها بـــالأمل، ما اصعب أن يحيى الإنســـان في انتظار مولود ميت، أو هكذا بدت لنا الأمور .. المصلون في الجوامع والكنائس يرددون كل يوم عبـــارات الإبـــتهال من اجل رؤية وجه البـــلاد.. المهاجرون يحكون للأخرين مأساة الأبرياء وجوع الفقراء وينقلون صورا واضحة عن الشـــمس وهي تصلب كل يوم في الساحات العامة أو في الزنزانات أو في غرف المحققين وكان العالم يرى ويسمع ولا يتحرك.

– **ابو هديل:** جميلة هي التماثيل في المتاحف لكنها تصبـــح قبيحة عندما تمشي في الشوارع .

– **اديب:** هكذا يستمر النزيف وحالة الموت البطيء حـــتى اقتضت مصالح الأخرين التدخل باسم حقوق المضطهدين وباسم الحرية المفقودة وباسم العدالة في العالم وراحت تعدُ العدَة من اجل نصرة المساكين الذين سيدفعون ثمناً من نوع أخر مقابل تسديد القوائم القديمة عنهم ،هكذا تكشف الأيام أن

لا حكمة تســود عالم اليوم ، وان مفاهيم كثيرة قــد تغيرت لترتدي حلة جديدة لا تساير مااعتدناه من أزياء.
– ابــو هديل: على الناس أن تتعامل مع كل هذه المتغيرات ولكن (للصبر حدود) ، هاهي محطات الإذاعة والتلفزيون تنقل ملامح عالم جديد سيتشــكل على ارض العراق وعلينا ان نسجل ان ٢٠٠٣/٣/٢٠ هو بــداية رســم تلك الملامح طائرات حديثة .. قنابل ثقيلة.. مسلحون يتقــدمون صوب بغداد .. ظلام كثيف داخل النفوس .. ترقب يشوبه الهلع من كثرة أطنان القنابل التي تلقى على جسد البــلاد.. الأخبــار تتضارب .. النفوس تضطرب .. البلاد تئن .. الفقراء تحت سماء الطائرات يجوعون .. لا نوم ولا راحة ، الكل يترقب أما أن يموت بإحدى قنابل التحرير! أو أن ينتظر يوما جديدا قد يكون أســوا من سابقــه وقــد يكون هو ذلك الفجر الذي سنرى من خلاله وجه البلاد.
– ماهر: حتى الاتصالات انقطعت مع العراق، لانســتطيع ان نعرف اخبار اهلنا هناك.
– اديب: اعصابنا مشدودة ، انها نقطة تحوّل غير اعتيادية، ما رأيك ابو هديل ان نذهب الى حمزة، اكيد لديه تحــليلات للوضع.
– ابو هديل: فكرة جيدة، فلقد ارّقتنا الاخبــار ، وانقــطاع الاتصال بالعراق للاطمئنان على الاهل.
– اديب: مواقف الليبــين طيبــة معنا ، هل تعلم ان المدير

اعطاني كامل الحرية في عدم التقيد بأوقات الدوام تقـديرا منه للحالة النفسية والشدّ العصبي الذي نمرّ به جرّاء وضع البلاد.

– **ماهر** : حتى عندنا في المعهد كل الليبيـين يسـألونني عن العراق واخبـار العراق ويريدون ان يذهبـوا الى العراق للدفاع عنه.

– **اديب** : اكيد، هذه هي الغيرة العربية، لقد سمعت انهم بدأوا بتسجيل اسمائهم لدى الجهات المسؤولة للذهاب الى العراق من اجل الدفاع عنه.

– **استاذ حمزة**: ياجماعة تره كلشي منتهي والمسألة مسألة وقت مو اكثر، البعثيين في العراق انتهوا.

– **اديب**: يعني استاذ حمزة هل تتوقع ان ينتهي النظام هناك نهائيا.

– **استاذ حـمزة**: خويه الامريكان بـعد مايريدون صدام، وامريكا ما عدها صاحـب ولاصديق، مصلحـتها وبـس، ومصلحتها هسه تقتضي ان ينتهي حكم صدام.

– **ابـو هديل**: كنا نتمنى ان يسقـط النظام من الداخل، وان لانحتاج الى قوة خارجية، لأنه مهما يكن فإنه سيعدّ احتلالا وان برّروه على انه تحرير.

– **اديب**: شاءت الظروف ان تلتقي مصالح العراقـيين مع مصالح امريكا وهي الخلاص من حـكم صدام، وعلينا ان نستفيد من ذلك لصالحنا.

- **استاذ حــمزة**: وهل سيدرك جماعتنا ذلك ويستفيدون من هذا التزامن لصالح البلاد ؟
- **اديب**: هل تشك في ذلك ؟
- **ابو هديل**: المشــكلة ان اغلب الناس في العراق لايعون حقيقة الوضع الذي سنكون عليه، واخشى ان تظهر مشاكل عديدة تعيق استقرار البلاد.
- **اديب**: تره العراقـــيين واعيين لهذه الأمور، واكيد ان رحيل النظام ســيجعلهم على اعتاب بــداية جديدة نظيفة، وسيعملون على ذلك.
- **ابو هديل**: العراقي بطبيعته يرفض ان يكون محتلاً وقــد كان للعراقيين تجربة مع الاحتلال الانكليزي.
- **اديب**: يعني صمود (ام قصر) اكثر من اسبوعين بــوجه الامريكان والانكليز هو دليل على ذلك؟
- **استاذ حمزة**: هنا المعادلة تختلف، لأن الناس في العراق تعتبر مايحدث الآن فرصتهم الذهبــية للخلاص مما هم فيه ولذلك فإنهم لن يبادروا منذ الآن لمقــاومة المحــتل، ولكن الذي يحصل هو ان فدائيي صدام الذين دربّــهم منذ ســنين على العنف والارهاب هم الذين يديــرون المعركــة مــع الامريكان بإســـتخدام الناس في المنطقـــة كدروع لهم وكسواتر، لأنهم في حالة دفاع عن وجودهم، فهم ملقــنون من ساستهم ان وجودهم مرهون بزوال الامريكان وتدمير الشــعب، واذا حــصل العكس وســيطر الناس على زمام

الأمور فلن يرحموا احـــدا منهم، لذلك فهم مســـتميتون في الدفاع عن وجودهم كسلطة في البلاد.

– **اديب**: لا احد هنا يصدّق ان نظام الحكم في العراق بـــهذا الإجرام بحيث ان الناس ترى الامريكان والانكليز يدخلون البلاد دون ان يحركوا ســـاكناً، بـــل ان بـــعضهم حـــدثني مستغرباً عن حالة الفرح التي انتابت البعض لما يجري في البلاد.

– **ابـــو هديل**: اخي، الناس خارج العراق معذورين ،لأن الإعلام جعل من صدام رمزاً كبيراً، وقـــد تســـمع غداً من يوبخنا ويشتمنا كردّ فعل لقوة تأثير الإعلام الحـــكومي في العراق على الساحة العربية.

– **استاذ حمزة**: لكن الايام القـــادمة ستكشـــف المســـتور وسيعرف الجميع حـــجم المأســـاة الكبـــرى التي عاشـــها العراقيون، والتي سيعيشها ثمناً لهذا الانجاز.

- **ماهر:** ياجماعة، اليوم شاشات التلفاز مشغولة منذ الصباح بخبر التظاهرة العراقية الكبيرة في بغداد وقد تم اسقاط تمثال صدام..

- **اديب:** يعني انتهى كل شي.

- **ابو هديل:** لنخرج اليوم الى المقهى ونرى ذلك، انه يوم مثير ٩/٤/٢٠٠٣ .

- **اديب:** اسمع ابو هديل ما تقوله هذه الفضائية... حتى تمثال صدام لم يتمكن العراقيون من اسقاطه لوحدهم فإستعانوا بالدبابة الامريكية....

- **ابو هديل:** ستسمع كلاماً كثيراً من هذا النوع، وهذا طبيعي فقد كانوا منتفعين من كوبونات النفط والولائم الفخمة و...، المهم ان ماكن ينتظره الناس قد تحقق.

- **اديب:** اسمع تعليق هذه الفضائية.... سقط تمثال صدام ولكن اقدامه بقيت ثابتة في العراق....

- **ابو هديل:** الخوف الآن من ظهور هذا النوع من المشاحنات والتوترات، فالناس ستعبّر عن فرحتها لسقوط النظام وانصار النظام سيعبّرون عن سخطهم لذلك وقد ينتج عن كل هذا تدهورا في الاوضاع.

- **استاذ حمزة:** هل تتصورون ان البعثيين سيتقبلون ذلك بسهولة، حتى من الناحية العملية كيف سيتقبل شخص بهذا الحال، بعد ان صنع منه صدام شخصية قوية وخطرة ومتنفذة في البلاد، وكيف سيقبلون ان يتسلم الحكم من كانوا

تحت رحمتهم طيلة عقود، اكيد انهم مدركون ان لابقاء لهم على قيد الحياة بعد هذا التغيير.
– **اديب**: الا تسمع بين الحين والأخر في الأخبار عن اغتيال الرفيق الفلاني والمسؤول الحزبي الفلاني، وغيرها.
بــس ان شـــاء الله الناس اكثر وعياً لتجنب الإنحـــدار الى الهاوية.
– **استاذ حمزة**: من اين يأتيهم الوعي، طيلة ثلاثة عقود وهم محجور على افكارهم ومصادرة عقولهم.. البعثيون حولوا العراقـــيين الى اموات وما هم بـــأموات.. المواطن مهموم بالمعيشة او بالحد الادنى من المعيشـــة.. من اين ســـيأتي بالوقت وسعة البال والراحة كي يتعلم ويتثقــف ليتمكن من روئة مايدور من حوله.. الم تســمع ما ينقــله العراقـــيون القادمون من هناك.
– **ابو هديل**: بس مع كل الأحوال لن يكون الوضع اســـوء مما كان، اعتقـــد انه علينا ان نكون هناك لنمارس دورا في توعية الناس وان نؤدي دورنا كعراقيين في الحياة الجديدة.
– **ابو ميثم**: اعتقـــد ان البقـــاء لفترة اطول هنا هو الافضل ريثما تتضح معالم الوجه الجديد للبلاد ولا تنسوا ان امريكا هناك.. وامريكا لن تسمح للعراقيين بتشـــكيل حـــياتهم كما يريدون.
– **اديب**: لو كان بالإمكان الحـــصول على اتصال مع الاهل لنعرف اخبارهم.. ومنهم نعرف حقيقة مايدور .

– **ابو هديل**: يقولون انه يمكن الاتصال بالعراق عبر الثريا، ولكن كيف ستعرف الرقم الذي يمكن ان تجد اهلك من خلاله.
– **ماهر**: علينا ان ننتظر، والله كريم.

... في المعهد ...
استاذ اديب ... استاذ اديب.....
– **اديب**: نعم استاذ .. خيرا ان شاء الله.
– **المدير**: اسرع يارجل، مكالمة من العراق.
اديب يجري مسرعاً صوب الادارة.
– **اديب**: استاذ انت متأكد من العراق.
– **المدير**: كلمني راجل وكال انه يتصل من العراق ويبيك.
– **اديب**: الو،نعم... يارحمة الله.. انه ابي، انه ابي ياجماعة.
– **الليبيون**: مبارك يا استاذ والحمد لله على السلامة طمنا كيف احوالهم ان شاء الله كلهم بخير.
– **اديب**: الحمد لله كلهم بخير، انا مسرور جدا.
– **ابو عجيلة**: يعني توه اتجيبلنه عصير.
– **اديب**: اي والله.
– **رمضان**: شني عصير، ياودي هاي حكها ذبيحه.
– **المدير**: العصائر تكفي توه، وبعدتالي يدير اللي يديره، المهم انه اتطمن على اهله وكلهم ابخير، مسكين كان

متغشش هليه عليهم.

– **اديب**:الله يبـــارك فيكم جميعاً ، مشـــاعركم النظيفة خير ترجمان لما في نفوسكم ، انا ممنون لكم جدا.

– **المدير**: لا داعي لهذا الكلام، احنه مادر ناش حاجه، انت واحد منّه وهذا اقل مايمكن ان انديره.

– **اديب**: فرحتكم وانتم تسمعونني اكلم والذي عبـــر الهاتف لايمكن ان تكون مجرّد مجاملة ،لقد رأيت الفرحة تنطلق من اعماقكم.

– **رمضان**: لا تنس اننا عرب ، وما يُفرح غيرنا يفرحـــنا ، ولقــد تألمنا جداً لقســاوة الضرب والهجمات على العراق بالأخص على الأبرياء.

- **اديب**: الله ما اجمل الليل في رقدالين، انه يغفو على ايقاع الطبيعة الهادئة النقية، هدوء ساحر يلف حنايا الليل، يترك المجال مفتوحا للخيال ليكون خصبا ثريا، منطلقا الى مسافات بعيدة مترامية الاطراف في الفضاء الرحب النظيف في سماء ليبيا، بينما ليل العراق طويل ثقيل منذ وقت بعيد، اليست السماء هي السماء، اليس الليل هو ذات الليل، والصباح نفسه هنا وهناك ؟!

- **ابو هديل**: ابدا لم تكن الطبيعة سبباً وراء معاناة الإنسان، انما الإنسان كان ومنذ الأزل عدو نفسه وهواجسه، شيطان الإنسان هو من جعل ليل العراق يستمر اربعاً وعشرين ساعة، بينما تسلمت الطبيعة هنا ادارة هذه الدورة فكان الليل وبعده الصباح، صحيح ان الحياة الليبية روتينية جدا، لكنها طبيعية، وهذا باعتقادي امر مهم.

- **ماهر**: طبعاً هذا امرٌ مهم، لقد لوثوا حتى الهواء في العراق.. الماء رغم وفرته وعذوبته ، بات من شدة التلوث البشري غير صالح للشرب، ليس هذا فحسب بل وجفت منابعه، الم تحدثنا يا اديب عن ذلك كما اخبرك فرات في رسالته عندما كان في العراق.

- **اديب**: اذا عدنا الى العراق قد نندم على كل لحظة هدوء عشناها في ليبيا، وهذه الطبيعة الجميلة ستكون حلما بالنسبة لنا تراودنا في المنام فقط، سنفتقد كل ذلك، دعونا نستنشق نسمات هذا الهواء، ونستمتع بهذه اللحظات، لأن الغد الذي

ينتظرنا في العراق لا شك انه سيصادر كل هذه اللحـــظات، من يدري قد لا نستطيع العودة الى ليبـــيا ان نحـــن فقـــدنا الإستقرار في بلادنا.
– **ماهر**: ليبيا ليست مغرية الى هذا الحد..
ماذا ستقول لو كنت في اوربا.
– **اديب**: انا اتحدث عن واقع اعيشه الان، واقارنه بما كنت عليه، اما لو اصبحت في اوربا وعشت هناك فعندها سيكون للحديث منحى اخر.
– **اديب**: لكن اغلب من وصل الى اوربا يتحدث عنها بشكل مثير ومحفز للذهاب.
– **ابو هديل**: لكل شخص تجربته، كما ان الســـفر نوع من ضربات الحظ، قد توفق في سفرك وقـــد لا، وعلى اســـاس ذلك يتكون انطباعك عن البلد الذي كنت فيه، انا شـــخصياً اعرف صديقاً لي وصل الى اوربـــا منذ ســـنين وهو الآن ينتظر مجرّد فرصة تسمح له بجمع مبلغ بســـيط من المال يكفيه لشراء بيت من غرفة واحـــدة له ولعائلته ليرجع الى العراق، هذا الكلام ليس بعيدا ، فقد اتصل بي على الانترنت قبل ايام وحدثني عن معاناة كبـــيرة يعيشـــها هناك، اطفاله بعيدون عنه، ولايستطيع ان يستصحبـــهم، لأن وضعه من حيث اللجوء لايسمح له بذلك، كما انه لم يوفق في الحصول على عمل هناك.
– **اديب**: اذن المسألة مسألة توفيقـــات، ومن يدري لعلنا في

نعمة لاندرك قيمتها ، اتمنى ان لا نتأسف على مثل هذه الايام ومثل هذه الاجواء الهادئة اللطيفة والامان والاستقرار.

– **ابو هديل**: العراق سيشهد حياة جديدة، وستكون خضراء ان شاء الله، وعلينا ان نكون هناك لنؤدي دورا فيها.

– **ماهر** : من سيسمح لنا بذلك ؟!

– **ابو هديل**: الوضع الجديد.

– **اديب** : الاخبار متضاربة، منهم من اتصل بأهله ونصحوه بعدم العودة لأن الأوضاع لاتزال غير مستقرة، وشخص اخر يقول ان اهله نصحوه بالعودة لأن الأمور ممتازة.

– **ابو هديل**: نحن ايضا علينا ان نتصل لنعرف من اهلنا ماذا يجري معهم.

– **ماهر**: ما رأيكم بان نذهب الى طرابلس، نتنزه ونقضي اليوم كله، ومن هناك نتصل.

– **اديب**: فكرة ممتازة، منذ وقت طويل لم نذهب الى طرابلس.

– **ابو هديل**: انا ايضا اوافقكم الفكرة، اختاروا يوما يناسبنا جميعا.

في طرابلس، وفي شوارعها الجميلة ذات الطراز المعماري القديم، وفي الساحة الخضراء ...

– **اديب**: انها اجواء لطيفة، لكن الحـــركة المســـتمرة والصخب في العاصمة لايعطيني مجالا للاستمتاع بـــمنظر البحر الابيض المتوسط، ومنظر البـــنايات الجميلة، انني لا احـــب الضوضاء والصخب، اميل الى الهدوء والمناطق المكشوفة الواسعة، لقد عشت عمري بـــكامله في العاصمة بغداد، ازعجتني الشـــوارع المزدحـــمة، واختلاف الناس وتوجهاتهم.. في العاصمة عادة تتنوع اهداف الناس..الحياة هناك تفرض على الناس تكاليف اكثر من الاماكن الاخرى، قد يدفع ذلك البعض الى اساليب غير نظيفة للعيش، لاتجدها ابدا في منطقة مثل رقدالين او الجميل او زوارة او الزاوية وغيرها، تشعر بأن الحياة مختنقة هنا في العاصمة.

الزاوية مثلا مدينة كبيرة، وفيها مواصفات العاصمة تقريبا ومع ذلك فهي هادئة، انها تعجبني جدا.

– **ماهر**: ولكن يبقى للعاصمة اهميتها وللحـــياة فيها دروب كثيرة، يعني مثلا لو كنّا في العاصمة، لاستطعنا الحـــصول على فرص عمل كثيرة، بينما في الجميل او رقـــدالين فأن فرص العمل هناك محدودة جدا قياسا للعاصمة.

– **اديب**: هذا صحيح عندما تكون بلا عمل في المكان الذي انت فيه، اما وانك متعاقد مع الدولة، والعقد في رقدالين هو نفسه في طرابلس، نفس الحقوق والامتيازات.

– **ابو هديل**: اعتقد ان هذا النقاش مرهون بميول كل واحد فينا ، اديب مثلاً يحب الهدوء والاماكن المفتوحة ولا يعير اهمية لامتيازات العاصمة الاخرى، ويكتفي بأن يتمتع بهذه الإمتيازات بين الحين والحين عندما يأتي اليها، اما انت يا ماهر فربما على العكس.
– **ماهر**: مثلاً في مناطقنا لا توجد اماكن للتنزه مثل ماهو متاح في العاصمة، نحن هناك محددين بين الدوام والبيت و(الجميل) ليس فيها الا شارع واحد.
– **اديب**: هذا يحدده الكيفية التي تريد بها قضاء الوقت، أنا اجد المتعة في الإبتعاد عن الإختلاط الكثير مع الناس، والكمبيوتر والكتابة والقراءة تأخذ الوقت الكافي عندي للتمتع، وعندما املُ كل هذا اقوم بنزهة مثل التي نحن فيها الان.
ما رأيكم ان نذهب لشاركية اتصالات بعد الظهر، عسى ان نوفق في الاتصال بالعراق.
– **ماهر**: نقضي وقت الظهر في احد مقاهي الانترنت، وعند العصر، وبعد ان تخف وطأة الحر نذهب للاتصالات.
– **اديب**: ماشي الحال.

– **ابو هديل**: اعتقد ان هذا النقاش مرهون بميول كل واحد فينا ، اديب مثلاً يحب الهدوء والاماكن المفتوحة ولا يعير اهمية لامتيازات العاصمة الاخرى، ويكتفي بأن يتمتع بهذه الإمتيازات بين الحين والحين عندما يأتي اليها، اما انت يا ماهر فربما على العكس.

– **ماهر**: مثلاً في مناطقنا لا توجد اماكن للتنزه مثل ماهو متاح في العاصمة، نحن هناك محددين بين الدوام والبيت و(الجميل) ليس فيها الا شارع واحد.

– **اديب**: هذا يحدده الكيفية التي تريد بها قضاء الوقت، أنا اجد المتعة في الإبتعاد عن الإختلاط الكثير مع الناس، والكمبيوتر والكتابة والقراءة تأخذ الوقت الكافي عندي للتمتع، وعندما امل كل هذا اقوم بنزهة مثل التي نحن فيها الان.

ما رأيكم ان نذهب لشاركية اتصالات بعد الظهر، عسى ان نوفق في الاتصال بالعراق.

– **ماهر**: نقضي وقت الظهر في احد مقاهي الانترنت، وعند العصر، وبعد ان تخف وطأة الحر نذهب للاتصالات.

– **اديب**: ماشي الحال.

... في مقهى الانترنت ...

– **د. علي**: هلو اديب، شلونك.

– **اديب**: هلو دكتور، شلونك انت.

– **د. علي**: شنو اخباركم، شلون الجماعة ..

– **اديب**: الحمد لله كلهم زينين انت شلونك وشلونها ايرلندا ؟

– **د. علي**: الحمد لله ابخير، شنو اخبار العراق، اخبار اهلكم هناك ؟

– **اديب**: الحمد لله زينين اتصل بـــي والدي في المعهد وهم بخير، وانت شنو اخبار اهلك ان شاء الله زينين ؟

– **د. علي**: الحمد لله زينين، ماهو صدى الحرب عندكم ؟

– **اديب**: الليبـــيون متعاطفون معنا، منهم من يلومنا على فرحتنا لزوال النظام ومنهم من يرى ان ذلك شأننا ونحـــن ادرى بما في شعاب بلادنا، ونحن هنا في حـــيرة من امرنا، هل نعود ام نبقى نترقب ماسيحصل.

– **د. علي**: اعتقـــد ان الأمور متجهة صوب الأحســـن، الشركات الاوربـــية ســـتتجه الى العراق لأعمال الإعمار والبـــناء واعتقـــد ان فرصتكم ســـتكون جيدة هناك، لأن المشـــاريع ســـتكثر وســـتكون الحـــاجة ماسّة للمهارات والخبرات.

– **اديب**: في الحقيقة ان الأخبار متضاربة ونحن ننتظر ان نتصل بالعراق ونتحدث الى اهلنا لنعرف مايجري هناك، ثم نرى رأينا، اما البقاء او العودة، والمشكلة انه اذا بقـــينا فإننا

سنضطر للبقاء حتى الصيف القــادم لأن الإجازة ســتنتهي ولحد الآن نحن بدون اقامة، لقد تأخرت اجراءات العقــود هذا العام بشكل غير اعتيادي.
– **د. علي**: لو كنت تســتطيع الذهاب الى العراق في اجازة لكان افضل، منها ترى اهلك وترى الوضع كما هو، فــإن اعجبك عدت وانهيت خدماتك، وان وجدت الأمور ليســت على مايرام بقيت في عملك.
– **اديب**: مع الأسف ضاع هذا الخيار من ايدينا.
بلال يدخل على الخط من ماليزيا....
– هلو اديب شلونك عيني...
– **اديب**: اهلا بلال، شلونك، مشتاقين
– **بلال**: انا اكثر، ماهي اخباركم، ماهي اخبار العراق؟
– **اديب**: د. علي يسلم عليك هو معي الآن على الخط.
– **بلال**: سلامي لكل اصدقــائنا جميعا، هل مايزال علي في ايرلندا؟
– **اديب**: نعم. ماهي اخبار الدراســة معك، وكيف وجدت ماليزيا؟
– **بلال**: مستوى الدراســة ليس صعبــاً، والماليزين خلكهم طويل جدا، وانا بــمجرد ان اكمل دراســتي فلن ابقــى في ماليزيا ابدا، لقد مللت الحياة هنا، ولولا انني اصبحــت امام الأمر الواقع لتركت ماليزيا فوراً.
– **اديب**: الهذا الحد انت منزعج من الوضع؟ اليست ماليزيا

بلادا جميلة ؟
– **بلال**: انها جميلة، ولكنني غير مرتاح، ربما بسبب الابتعاد عن الاهل، وبسبب الانشداد الذهني والعاطفي صوب العراق ومايجري هناك، وربما لأنني اشعر ان الدراسة هنا لاتضيف الى رصيدي المعرفي الا القليل، لا ادري...
– **اديب**: كلها اشهر وتكمل الدراسة وتحصل على الماجستير، انه انجاز يابلال.
– **بلال**: هذا مايصبّرني.
– **د. علي**: ماهي اخبار فرات ؟
– **اديب**: لايزال في الاردن، يترقب الاحداث كما نترقبها .
– **د. علي**: ندعو الله ان ييسر الأمور في العراق كي نعود.
– **اديب**: هل تشعر بالغربة يا عليّ ؟ وهل هي مختلفة عما كنت عليه في ليبيا ؟
– **د. علي**: هنا الغربة حقيقية وثقيلة الوقع لأنك هنا ملزم بلغة، واناس غير الذين اعتدت عليهم، اما ايام ليبيا فإنها لم تكن غربة كما اعيشها هنا، كانت اياماً جميلة، هل تتصور انني احاول ان اعود الى ليبيا اذا ماحصلت على عقد عمل.
– **اديب**: معقولة ؟!!
– **د. علي**: ليس بهذه السرعة، وانما اريدها خط رجعة، قد لا اتمكن من المواصلة، فالحياة هنا صعبة ومكلفة ، انه عالم جديد مختلف عمّا كنا عليه، هنا لا استطيع ان اعمل طبيبا لانهم يطلبون مني اوراقا ومستمسكات ، والعراق بهذا

الحال، وهناك اختبار لغة ، ولابد ان احصل على هوية نقابة الاطباء حتى يمكنني العمل كطبيب، هناك معوقات كثيرة.
اريدك ان تتحـــدث مع الدكتور محـــمد العراقـــي، فهو ذو علاقات كثيرة ويمكنه مساعدتي.

– **اديب:** ان شاء الله ، بس انت حاول ان تصبر .

– **بلال:** انت هم ناوي ترجع للعراق ؟

– **اديب:** في الحقيقـــة عندي دافع قـــوي لذلك ومتردّد في الوقت نفسه.

– **بلال:** ان شاء الله كلنا نرجع ، ونتخلص من الغربة.

– **اديب:** من منا لايتمنى ذلك .

– **بلال:** اعتقد ان التوقيت الآن للعودة ليس مناسباً فما تزال الأوضاع غير مستقـــرة، الناس لم يفيقـــوا بـــعد من اهوال الحرب.

– **اديب:** نحن هنا امام خيار لاثالث لهما ، اما الانتظار حتى الصيف القادم، او الإنهاء الآن والعودة الى العراق.

– **بلال:** ومع اي خيار انت ؟

– **اديب:** قـــد انهي عقـــدي هذا العام واعود اذا كانت نتيجة الاتصال باهلي ايجابية .

– **بلال:** وماذا عن الجماعة ؟

– **اديب:** هناك اشاعة تقول انه سيصدر قريباً قراراً يقضي بانهاء عقود عدد كبير من حـــملة شـــهادات البـــكلوريوس لإحلال العناصر الوطنية مكانهم.

- **بلال**: وماذا عن حملة الماجستير ؟
- **اديب**: امورهم تمام، يعني انت اذا الله سهل واكملت الماجستير يمكنك المجيئ الى ليبيا والحصول على عقد عمل.
- **بلال**: بلكي ان شاء الله نرجع للعراق.
- **اديب**: الله كريم.

.... في مدينة الزاوية ....
– **اديب**: سأقدم طلباً لإنهاء خدماتي هذا العام واعود الى العراق.
– **رافد**: هل فكرت بـــالأمر جيدا، انا لا اريد ان اعارضك ولكنني اريدك ان تفكر ملياً، وان لا تأخذك العواطف صوب الأهل وماجرى لهم، عليك ان لاتنس ان الله هنـــاك معهـــم جميعا، اهلي ،واهلك ، وكل العراقـــيين الذين لاحـــول لهم ولاقوة.
– **اديب**: اقدّر كل هذا، واعتقد ان الوقت الناسب للعودة قـــد حان. ماذا عنك ؟
– **رافد**: انا سابقى ريثما اقتنع بفكرة العودة.
عندما تكون هناك بـــين اهلك.. تذكرني، وتذكر تلك الايام التي عشناها سوياً، قد لا اجد الوقـــت الكافي لتوديعك لأنني سأسافر قريبا لقضاء اجازتي في العراق وسأتزوج هناك ان شاء الله.
– **اديب**: وكيف انسى تلك الأيام انها اروع رصيد ساحـــمله معي واجمل ذكريات، واكيد اننا ســـنكون على اتصال على الانترنت ومقدماً اتمنى لك الموفقية.
هل صحيح ان كل السنوات الماضية مرّت هكذا بسرعة، كم كنا نعاني الروتين الممل. هل كنت تتصور انك ستبقى بعيدا عن اهلك كل هذه المدة. انه حكم القدر، هكذا لا نملك شـــيئا غير تنفيذ الاقدار، حتى عودتي اشعر بها حكما قدريا اكثر

منه قرارا اتخذه دون مؤثرات او مغريات.
– **رافد:** اذا كان هذا قدرا كما تقول فعلينا ان نحمد الله عليه، فقد كان قدرا جميلاً، منحـــنا ملاذا امنا، وصحبـــة جميلة، ورزقا طيبا.
– **اديب:** ترى كيف هو العراق اليوم ، وبماذا يشـــعر الناس هناك بعد ماجرى.. اتذكر كم عانى الناس ايام الحـــرب مع ايران.. وكم عانينا ايام الحـــرب على الكويت.. وكم كانت معاناتنا كبيرة زمن الحصار، اتذكر الخبز الاسود المخلوط الذي كنا نأكله، ترى هل سيجد الناس بعد كل هذا من يقـــف الى جانبهم ويعوضهم كل تلك السنين العجاف ؟؟ ام ان ليل العراق مايزال طويلاً ..
– **رافد:** ان شاء الله ســـتتغير الامور الى الاحســـن ومهما كانت الحـــكومة التي ســـتأتي فأنها ..اضعف الايمان .. ستكون ارحم من حكومة النظام السابق.

... في رفدالين ...

– **اديب**: اذن ستعود الى العراق بعد كل هذه السنين الطويلة.

– **استاذ حمزة**: نعم، فقد انتهى مبرر وجودي خارج الوطن، بمجرد ان انتهي من الاجراءات الروتينية هنا سأكون في بغداد، متشوق لرؤية البلاد بعد ذلك الظلام الطويل.

– **ابو هديل**: اكيد سيكون لك دور مهم استاذ حمزة، اليس كذلك ؟

– **استاذ حمزة**: اعتقد راحت علينا، المهم ان نجد من يقرأ معاناتنا وهمومنا، لانريد مناصب ومراتب، يكفينا ان يقدّر الآخرون اننا نزفنا اعمارنا ونحن نحترق اغترابا بعيدين عن الوطن.. نحمل آلامه بين اضلعنا.. حتى اذا ما ارتفعت حرارة الشوق، سكبت العيون دمعها، ورنّ في القلب جرس الخوف من المجهول، ومن حلكة الظلام، وديمومة الوجع.. وها نحن نصل النهاية.

– **اديب**: سنوات الغربة التي عاشها العراقيون في الخارج وفي مختلف الدول اكيد ستكون رصيدا مهما يخدم البلاد في مرحلة مابعد عودتهم.

– **ابو هديل**: الهجرة هي احدى طرق البحث عن الزمان والمكان، واعتقد ان اللذين امضوا سنوات طوال خارج البلاد واستقروا هناك، اعتقد انهم لن يفكروا في العودة، فما

قيمة العودة مادام الإنسان وجد بلادا تحملة.. يستطيع فيها ان يحقق احلامه، ويضمن سلامته ومستقبله، اعتقد ان هذه الأمور تغني عن التفكير بالعودة، واذا اراد احدهم فإنه سيزور البلاد للقاء اهله واصدقاءه ومحبيه، ثم يعود الى وطنه المنفى.

– **ماهر**: هذا ماكنت اتمناه ولكنني لم اتمكن من تحقيقه مع الاسف.

– **اديب**: كلمن ونصيبه.. انت بذلت ما بوسعك، ولكن الحظ لم يحالفك..

– **ادم:** هناك اخبار تقول انه سيصدر قرار يقضي بـــإنهاء خدمات حملة البكالوريوس والإبقـــاء على عدد قـــليل منهم حسب الحاجة، هل سمعت بذلك يا اديب ؟

– **اديب:** سمعت بعض المصريين يتحدثون في ذلك، يبـــدو انها اشاعة كبيرة، وعلى العموم بالنسبة لي فقـــد قـــررت العودة.

– **ادم:** احـــــنه وين انروح اذا صارت صدك، اني ما اريد ارجع للعراق، يعجبني ابقه هنا.

– **سيد رائد:** ولا انا افكر بذلك الأن، علينا ان نتحـــدّث الى مدرائنا، فان كان للخبر صحّة بذلوا مايستطيعون لابقائنا.

– **آدم:** ما نحتاج اكثر من ســـنة، الى ان نشـــوف اوضاع العراق شلون راح اتصير.

... في الجميل ...

– **ابـــو ميثم:** هل اطلعتم على قـــــرارات الإنهاء التي صدرت.. اعداد كبيرة من المغتربين انهيت عقودهم.. انا منهم، وماهر، ورائد، وآدم ..

– **ماهر:** يعني هاهيه، خلصت خبزتنه..

– **اديب:** الحمد لله على كل حال، وبارك الله فيما رزق.

– **ماهر:** وما حيلة المضطر ....

– **اديب:** هل مرّت كل تلك السـنوات بـهذه السـرعة، واصبحنا على مقربـة من العراق، يفصلنا عن رؤية وجه العراق ايام، انها رحـــلة جديدة.. من يدري ما اولها وما اخرها...

.. وابتده .. ابتده.. ابتده المشوار .. جنه وله نار آه ياخوفي، رايح وانا محتار...

رقدالين.. اينها المدينة البسيطة الهادئة..
شكرا لضيافتك لي كل هذه السنوات، بحلوها ومرّها.. ها
انا اذا امرّ على الشوارع والطرقات والأزقة اتأملك واشم
فيك عطر الضيافة الليبية طوال تلك السنوات..
ترى هل لنا لقاء آخر..
هل ستتذكرني الحدائق الخضراء..
هل ستتذكرني الطرقات التي طالما مشيتها حالما سارحا ،
متأملا تارة ، ومهموما اخرى..
هل سيتذكرني الليل الذي طالما تنهدت في صدره الرحب ،
وبكيت فقد اهلي عليه ..
هل سيتذكرني الاصدقاء هنا ام ان الايام ومشاغل الحياة
وبعد المسافات ستمحو تلك الذكريات..
غدا عند الثانية ليلا سأودّع ليبيا وهي نائمة في اجواء ذلك
الليل الجميل، سأمرّ على زوارة والزاوية وطرابلس،
سأودّع الذكريات فيها .. سأمدّ يدي من نافذة السيارة
لاصافح ساعات ذلك الليل واطلب منه ان ينقل سلامي الى
كل الليالي الماضية التي نمتها وانا مطمئن البال..

... عمّان في الشهر التاسع – ٢٠٠٣ ...
– **فرات:** الحمد لله على سلامتكم، الله كم مضى من وقت لم نلتق فيه، صحـــيح كما يقـــولون الدنيا صغيرة والوجوه تتلاكه..
– **اديب:** طمّني ، شلونك انت وشلونهم اهلك..
– **فرات:** الحمد لله انا على اتصال بهم دوماً، وقد نقـلوا لي قبل ايام خبـر استشــهاد والدي، لعلك تذكر انني ذات يوم اخبرتك انهم اخذوه ولم يعد .. بـعد هروب اعوان النظام ، استولى الأهالي على مراكز الشرطة ودوائر الأمن فوجدوا اسمه في قائمة المعدومين منذ سنين طويلة..
– **اديب:** البقاء لله، والبركة فيك ...
– **فرات:** متى نويت السفر الى العراق ؟
– **اديب:** هذه الأيام ؟
– **فرات** : والدك اتصل بي قبل يومين فقـط، وابـلغني ان اخبرك ان الأمور بدأت تسوء في العراق وان امكنك البقاء في الاردن ولو لفترة..
– **اديب:** لو وصلني هذا الكلام وانا في ليبـــيا لرأيت رأيا آخر، اما وقد غادرتها، فلا اهمية لهذا الكلام الآن.
– **فرات** : ابق هنا في الاردن.
– **اديب:** لو سألتك وطلبت ان تكون صادقـــا معي، هل انت مرتاح هنا في الاردن، عملك ، اقامتك..؟
– **فرات:** كلا، غير مرتاح، ولكن ما بـــاليد حــــيلة، اتذكر

عندما كنت اطلب منك ان تحصل لي على عقد في ليبيا كي اعود اليها، ذلك لأنني هنا غير مرتاح..
الشرطة بين الحين والحين تباغت العراقيين في اماكن عملهم وسكنهم وتلقي القبض عليهم وتقودهم الى الحدود العراقية الاردنية، بعد ان يلقى في سجن المركز يوماً او اكثر، هذا ام لم يُسمعه الضابط كلمات مهينة.. هذا غير حالة الاستغلال الذي يمارسه الاردنيون معنا لأنهم يعرفون اوضاعنا.. قد تعمل عند احدهم ولا تحصل منه على حقك المتفق عليه.. لكن هذا الكلام ليس عاماً ولكنه شائع.. مع كل ماذكرت لك هناك اشخاص اردنيون يعتز الواحد بصداقتهم حقا..
– **اديب**: البلد يقاس على الحالة السلوكية الاخلاقية الشائعة فيه، اما النوادر فلا يخلو منها بلد او مجتمع.. انت كنت في ليبيا ومررت بتجارب كثيرة.. عملت مع اشخاص كثيرين.. منهم من اكل حقك.. ومنهم من انصفك.. ومنهم من كان اكثر انصافا معك..
كيف تريدني ان ابقى في الاردن بعد ما قلته لي.. اتدري ماذا سألني الضابط في المطار..؟
قال لي لماذا انت ذاهب الى العراق ؟!
– **فرات**: سؤال استفزازي، هكذا هم ضباط الأمن.
– **اديب**: كم مرّة سافرت من والى ليبيا وكم مرّة مررت بمكتب ضابط الجوازات، لا انكر ابدا طيلة السنوات التي

عشتها هناك انني سؤلت اسئلة استقرازية كهذه، ابدا..
وماذا عنك، هل ستبقى هنا ؟
– **فرات:** لا طبعاً، ولكن على الأقل هذه الفترة فقط، الأخبار التي تصلنا من العراق لا تسرُّ، هناك فوضى ستحل بالبلاد..
– **اديب:** في كل الأحوال انا عائد، والله يستر، وان لم اجد الأجواء مناسبة للإستقرار، فإنني سأعود من جديد لرحلة البحث عن زمان ومكان مناسبين.. تصورت ان معاناة جيلنا ستنتهي بالتغييرات التي حصلت في العراق، ولكن يبدو اننا جيل كتب عليه ان ينزف ويبني في نفس الوقت.

شوارع مظلمة.. خوف يحيط المسـافرين من عصابـات التسليب على الطريق.. جوانب الطرقات جرداء قاحـلة ما مرّت عليها الحياة منذ سنين .. جدران ملئى بشعارات ضد النظام السابـق.. لافتات ترحـب بـولادة فجر جديد في العراق.. بنايات محـفور على جدرانها آثار الرصاص .. بنايات محطمة وسط بغداد.. جسور تبحث عن معبـر تمرّ عليه .. وجوه فرحـة خائفة.. اي قـدر هذا الذي يترك في وجوه العراقيين بـصمة الخوف مع الفرحـة، اي لوحـة يرسمها الزمان على وجوه العراقيين، هل يستطيع الفنان ان يرسـم فرحـة حـزينة خائفة.. الناس لا يعلمون ماذا ينتظرهم.. (جنّه ولّه نار...)، ولكن المشوار بدأ.. الدبابات الامريكية في كل مكان.. اصبح العراق معسكرا كبـيرا.. ترى هل يمكن ان تشرق الشمس من وراء دبابة.. !؟

الكاظمية كما هي، كأنني تركتها قبل اسابيع، حركة الناس، الإزدحـامات.. وجوه الناس.. كأنني انا فقـط من تغير بينهم.. نفس الوجوه الكالحة.. نفس التعب في القسـمات.. نفس الخوف في النفوس.. نفس الفوضى وربـما هي اليوم اكبر..

– **السائق**: الحمد لله على سلامتكم.. تفضلوا يا جماعة.

– اديب: لم يبق من الزمن الكثير الذي يفصل بيني وبين لقاء اهلي، كنت متوجساً خائفاً.. قلقاً.. متعباً.. هذا بيتنا.. لا احد يعلم بوقت قدومي.. يعلمون فقط انني قادم..

بين الوداع واللقاء تكون هناك دموع تذرفها عيون الاحبة.. ولا يدرك احدنا الفرق بينهما الا بعد ان يمرّ بالحالين.. هكذا احسست وانا ارى وجه امي مضاءا بقطرات براقة من دمعها.. كانت دموعاً فرحة.. ينعكس فرحها بريقاً يضيئ الخد ويجتذبني اليه.. وتلك السنوات الطوال ماكنت لأشعر ببعدد ايامها الكثيرة الا وانا امام من تركتهم صغارا ووجدتهم يافعين، كنتُ اقرأ في عيونهم كلاماً كبيراً وكثيراً، كأني بهم يسألون.. ماذا اعددتم لنا نحن الجيل الجديد.. وكنت امرّ بإحباط كبير وانا ارى ربيع الحياة في عيون جيل ربّما سيلاقي ما لقينا من نصب أو ربّما اكثر.. ترى من يتحمل نتائج ذلك.. هل هم اصحاب الشعارات .. أم الأباء.. ام الزمن .. ام نحن انفسنا.. لم اجد في العراق ماكنت احلم به.. الناس غير الناس.. البلاد ما عادت قادرة على ظم ابنائها بعدما اصبحت متعبة مرهقة.. لا احد يكترث بمعاناة الأخرين.. الجوع في المفاصل.. الحزن في العيون.. الجرح في القلوب.. الشفاه تبتسم كمدا.. هكذا وجدت الناس في بلادي بعد اعوام الغربة.. وبعد الطوفان الذي حلّ بالبلاد.. اين المستقبل الذي ننتظره.. هل كانت احلامنا مجرد سراب.. هل انا وحدي من يرى هذه الصورة المتشائمة بعد مرور ثلاث سنوات على تغيير النظام.

- **سيد حسين:** كلا.. لست وحدك.. كم كنت اتمنى ان لا تعود بشكل نهائي يا اديب.. تمنيت لو كان بيننا اتصالات

لأخبرتك بأن تقوم بزيارة مؤقتة فقط .. الأمور ليست على مايرام.. انا شخصيا اتمنى لو املك القــدرة على العودة الى ليبيا التي لم يعد بوسعنا العودة اليها..!!!

– **سلمان:** لن تجد هنا لا الزمان ولا المكان الذي كنا نحــلم به.. اتتذكر رسائلنا اليك.. الم نخبرك برغبــتنا في العودة الى ليبيا ، الأمور هنا معقدة، وغير صالحة، وربــما ليس هناك من امل..

– **اديب:** تصورت ان التغيير الذي حصل في البلاد سيأخذ بأيدي الناس صوب حياة افضل.

– **حمزة:** المشكلة ان الناس تغيرت ، واصبحت الطباع التي نراهم عليها طبيعية فيهم، بحكم التعاقب المستمر للاخطاء طيلة اكثر من ثلاثين عاما.

– **اديب:** انها حــيرة.. بــلال على الانترنت يســألني ماذا نفعل؟.. الى اين نذهب؟ اين يمكن ان نجد مكاننا وزماننا.. العمر يمرّ ونحن من تجربة الى اخرى.. فرات سيعود الى العراق ليتزوج.. ولما اخبــرته عن الأوضاع قـــال: .. لا تكول دنيتنه ولا تكول قسمتنه احنه الما عرفنه انعيش موش الدنيه ذلتنا..

د. عليّ مازال يتأمل ان يتحسن الوضع كي يعود..

– **ماهر:** اذا كنا قــد وقــعنا في الخطأ فعلى اصدقــائنا ان ينتبهوا الى اخطائنا ولايقــعوا فيها.. ربــما يســتطيعون مساعدتنا في الخروج من هذا المأزق..

– **اديب**: علينا ان نفكر من جديد في طريق نبدأ بـــه رحـــلة البحث عن الزمان والمكان الذي يمكن ان نجد فيهما انفسنا .. هذا قدرنا.. عندما كنا في الغربة كنا نشعر بـــضياع يمتد من حولنا الى كل الجهات.. ولم يكن لنا مرتكز نســتند اليه، وعدنا وها نحن نعيش ضياعا من كل الجهات .. لانستطيع الوصول الى اي مكان للاستقــرار فيه، اغلب الدول تمنح تأشيرة سياحية او زيارة مؤقتة محدودة.. ونحن بحاجة الى مستقــر جديد.. فأين هو..؟؟ وكيف السبـــيل اليه..؟؟ هذا ما علينا البحث فيه...